



1092

HARLEQUIN

دار م. النحاس

لن أحترق بنارك

ميشال ريد



لن احترق بنارك

ميشال ريد

الاستيلاء على الشركات التجارية كانت الخطوة الاولى. اراد طوني لاكتوس نينا لوفل ايضاً، لكنها كانت تحتقره.

كانت مقتنعة انه المتعجرف اليوناني الذي يعمل بمجال التطوير الصناعي والتجاري والذي دمر صحة والدها لأجل ضم شركة لوفل الى قائمة ممتلكاته.

حين اكتشفت انه مصمم على شرائها ايضاً، واجهت نينا المعضلة التي تخشاها اي ابنة مخلصة. هل تراقب طوني وهو يحطم قلب والدها دون شفقة، ام هل تحاول ابقاء الشركة للعائلة... بالزواج من الرجل الذي تكرهه...؟

«أنت جدير بالازدراء!»

التقطت نينا انفاسها قبل ان تتابع: «تعتقد ان بإمكانك التحكم بمصائر الناس كما تتحكم بشركاتك، حسناً...» والتفتت لتحدق به بتحدي: «انا لست للبيع يا سيد لاكتوس. تذكر ذلك اثناء وجود جيسون بالجوار، لأنني لو اضطررت للاختيار بينك وبينه فسأختار جيسون دائماً.»

«إذن انت لست للبيع»

قالت وهي تقنع نفسها بذلك: «لا، لأنني احب جيسون، وفور تحسن حالة والدي الصحية لدرجة تسمح له بسماع الأنباء فسأتزوج من جيسون!»

«لن تفعلي.» قال طوني لاكتوس برقة وتابع: «لأنك يا آنسة لوفل ستتزوجيني أنا.»

الفصل الأول

كانت ليلة حالكة السواد ومخيفة، واحدة من تلك الليالي حيث لا حركة، لا صوت، باستثناء نقاط المطر المنهمرة بغزارة على الأرصفة والسقوف والسيارات.

وقفت نينا لوفل داخل البوابة الحديدية الضخمة محدقة بالمنزل الكبير الأبيض في آخر الممر. هناك حفلة ما بالداخل. فالباحة الأمامية مكتظة بالسيارات والأضواء تشع من كل نافذة وباب في المنزل الكبير. وصل إلى سمعها صوت الموسيقى التي تصدح من الداخل.

ارتعشت وشدت عليها معطفها الصيفي. في مكان ما داخل هذا المنزل يستمتع الرجل، الذي أتت لمقابلته، بوقته. فيما على بعد أميال كثيرة من هنا، وفي منزل يشبه هذا الذي تراه امامها، تستلقي ضحية آخر انتصار للرجل هنا، وتكاد تلفظ انفاسها الأخيرة من هول ما حدث.

«لا يستطيع فعل هذا بي، لا يستطيع!»

صاح جوناس لوفل بهذه الكلمات قبل ان يصاب بنوبة قلبية حادة جعلته يهوي على أرض مكتبه، لكن بإمكانه فعل هذا به كما يبدو، وكان على وشك فعله ان لم يردعه أحد. لهذا السبب بالذات اتت هي إلى هنا الليلة، أتت لتتوسل، لتساوم ان استطاعت، أتت لتقوم بأي شيء قد يخفف من ألم وحزن والدها. هل يعرف بشأن تعرض جوناس لوفل لنوبة قلبية؟ وبحال عرف هل سيكترث لحقيقة تحطيمه لحياة

رجل آخر وقتله لمجرد اضافة شركة جديدة إلى مملكته التجارية الضخمة؟

انها تحتقر الرجال امثاله، فكرت وهي ترتعش، لا يستحق والدها ما كان يحدث له. فحياته بأكملها تتمحور حول شركة لوفل، إن أخذها منه لن يبق له ما يعيش لأجله.

لقد قال لها الطبيب: «انه مذعور بشدة وان لم تفعلوا شيئاً للتخفيف من اضطرابه وتوتره فأخشى انه سيتعرض لنوبة قلبية أخرى... وحينها قد لا ينجو.» فيما المطر يغسل خصلات شعرها الحمراء الذهبية الطويلة، سارت نينا نحو السيارات الفاخرة بخطوات رشيقة وبقوامها المتناسق إلى الباب الرئيسي. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلاً الآن، وهي لم تبرح غرفة والدها طيلة الأيام الثلاثة الماضية، كان الإرهاق يسيطر عليها وعلى قلبها المتألم، قلقها على والدها وكرهها للرجل الذي توشك على رؤيته كانا يدفعانها لمتابعة السير ولتقريب قدماً متعبة على أخرى لحين وصولها إلى الشرفة الأمامية.

«والآن ماذا؟» تساءلت بينها وبين نفسها.

الرجل الذي أتت لمقابلته يقيم حفلة، فهل تطرق بكل بساطة بابه مطالبة بمقابلته؟ لا، وارتجفت لمجرد التفكير بذلك، فاضطرارها للمجيء والتوسل اليه كان سيئاً كفاية دون المخاطرة بوجود جمهور يشاهد ذلك.

لكم كانت متعبة...

اخرجت يدها المرتعشة من جيب معطفها ومسدت جبينها، القلق الذي كان رفيقها طيلة الأيام والليالي الثلاثة الماضية كان يمنعها من التفكير السليم. حتى انها لم

تكن متأكدة تماماً من حقيقة وقوفها هنا.. وكأنها في كابوس مرعب لا بد ان تصحو منه.

ليته حقاً مجرد كابوس، فكرت بحزن وهي تحدق بالباب الضخم امامها، انها مستعدة لفعل أي شيء مقابل استرداد والدها لعافيته مجدداً، ومقابل عدم اضطرارها للاقتراب من الرجل الموجود بالداخل ثانية.

هذا الرجل يخيفها، لقد اخافها منذ اللحظة الأولى التي رأته بها، لا يحق لأي شخص ان يكون متسلطاً وقوياً لهذه الدرجة... ولا ان يكون وسيماً لهذه الدرجة.

شعرت بشيء ما يتشنج بداخلها وبموجة ذعر تعتريها، لكنها سرعان ما ابعدت هذه الأفكار من رأسها في محاولة لطرد الخوف من داخلها ثم اعادت نظرها إلى الباب الأبيض أمامها. حينها فقط لاحظت انه كان مفتوحاً بعض الشيء وشعرت بالحماس وفكرة ما تخطر ببالها.

أتجرؤ على الدخول إلى هذا المنزل دون الإذن بذلك؟ كان الباب مفتوحاً لاستقبال أي من زوار الحفل المتأخرين حسناً، انها متأخرة ولكنها ليست مدعوة.

لقد جاءت لرؤية طوني لاكتوس وهذا ما ستفعله قبل انقضاء هذه الليلة. حتى ولو عنى ذلك تسللها إلى منزله واختبائها في مكان ما بانتظار اللحظة المناسبة لمحادثته على انفراد.

رفعت ذقنها وعيناها تلمعان بتصميم، ثم سارت ببطء إلى الداخل بخطوات حذرة، وجدت نفسها في بهو كبير بلاطه من الرخام الأسود والأبيض والذهبي وستارة مخملية حمراء مفتوحة على الجانبين تحت قنطرة سوداء خشبية

تؤدي إلى الغرف التالية. غرفة البهو متوسطة الحجم ومضاءة بمصابيح خافتة تلمع انوارها على الجدران الخشبية المزركشة فيما يتوسطها درج عريض يرتفع إلى الطابق الثاني.

لدهشتها، كان البهو خالياً من أي شخص والأبواب المتناثرة على محيطه مغلقة تخفي وبدرجة كبيرة اصوات الضوضاء والموسيقى وراءها. تجاهلت نينا خفقات قلبها المتسارعة التي تخبرها بعدم صوابية ما تفعله. تقدمت وهي تنظر يمنة ويسرة وعقلها يخبرها انها بحال نجحت للصعود إلى الطابق العلوي دون ان يراها أحد فقد تجد مكاناً ما تنتظر به لحين انتهاء الحفلة.

وصلت إلى حيث السلالم وبسرعة تحسد عليها تسلقتها، وبصولها إلى أعلى درجة فتح باباً ما في الأسفل وخرج منه رجلان فسارعت للاختباء خلف أحد الاعمدة الضخمة إلى يمين السلالم.

كان طوني لاكتوس احد الرجلين كما لاحظت نينا ونبضها يتسارع، بإمكان أي كان تمييزه وسط مئة رجل، فبقامته الطويلة وبنيته الرياضية، كان طوني لاكتوس اكثر الرجال الذين قابلتهم وسامة وجاذبية.

كل شيء بشأنه كان يثير اضطرابها ويزعجها بشدة، من طريقة تسريحة شعره الأسود الكثيف بعيداً عن وجهه الأسمر، إلى نقنه المستدير. كان أنفه مستقيماً، عيناه واسعتان، برموش سوداء كثيفة وطويلة. عينان داكنتان بداخلها طاقة هائلة تثير الرعب.

مع انها تصدت لما قالته لها عيناه، ومع انها هزت

رأسها برفض له ولرسائله إلا انها لم تستطع التغاضي عن فتنته المميزة. العينان، الشعر، البنية الرياضية والبشرة السمراء.

كذلك بذلته الثمينة، قميصه الحريري، حذائه اللماع وكل شيء في سلوكه، لذا فقد تفاجأت لمعرفتها لاحقاً انه يوناني وليس ايطالي.

لم يمض اكثر من اسبوع على لقائهما حتى اصبحوا في الشركة ذاتها. وكلما التقيا كان يطلق ذاك الشعور المتفجر بداخلها ويجبرها على التراجع والانكماش بحركة دفاع عن النفس عما يعني كل ذلك. انها لا تثق به، لا تثق بذاك النوع من الجاذبية القاتلة. بالنسبة لها هو رجل عصري بكل معنى الكلمة، فيما هي مجرد طالبة خجولة وعصبية في معهد الموسيقى، لأن والدها رجل الأعمال المعروف ارادها أن تتعلم ذلك.

استخدم كل وسيلة متوفرة له للتقرب منها، للجلوس قربها مجبراً إياها على الشعور بوجوده، مبتسماً بسخرية حين يلاحظ تصميمها على تحاشيه رافضة ترك جانب والدها أو مجرد التحدث اليه ان استطاعت ان تفعل دون ان تكون غير مهذبة أو فظة.

رفضت كل تودد اظهره نحوها حتى تراجع أخيراً عن محاولاته، لكنه استمر يشعرها بالاضطراب من البعيد عبر نظراته الداكنة نحوها. كانت تحبس انفاسها كلما التقت نظراتهما في مكان واحد يجمعهما. بدأ يسكن احلامها أيضاً، وبدأت تختلق الاعذار كي لا ترافق والدها للأماكن التي قد يتواجد هو بها.

«لا تكوني حمقاء يا نينا.» كان جوناس يعنفها برقة: «احتاج لوجودك قربي وهذه نهاية النقاش، على كل حال آن لك ان تعرفي ان في الحياة اكثر من مجرد البيانو الذي تعزفين عليه واكثر من جيسون هانتر ذاك.»

المسكين جيسون لم يحظ يوماً بتقدير أو مجرد اعجاب من والدها الذي كان يتابع: «توقفي عن التصرف بلا مبالاة وبرود نحو طوني لاكتوس فأعمالي معه دقيقة وهامة جداً ولا أريد لسلوكك البارد إفساد شيء عليّ.»

ما قد أفسد ذلك، فكرت الآن بمرارة، ان طوني لاكتوس كان يهدد بالاستيلاء على شركة والدها والمسكين جوناس اصيب بالنوبة القلبية من جراء ذلك.

«هل انت متأكد يا جون؟»

اعادها صوت عالي النبرات إلى الواقع وإلى الرجلين الواقفين في البهو في الطابق الأرضي.

تمتم اليوناني: «تباً... حسناً، سأكلمه من هاتف مكتبي.»

انكمشت نينا اكثر في ظل العمود فيما عبر الرجلان البهو وافترقا بدخول كل منهما من باب مختلف واغلاقه خلفه.

بعد لحظات، سمعت نينا صوت طوني لاكتوس المكتوم دون ان تفهم شيئاً مما كان يقول، لكنها ادركت انه يتلقى انباء سيئة جيدة. فكرت، آمل ان احدى صفقاته قد فشلت، آمل ان يخسر كل قرش لديه!

لعل هذه فرصتها الذهبية لمحادثته على انفراد! ادركت نينا هذا فجأة وهي تستقيم لتتأوه بصوت خافت، فقد تشنجت ساقها جراء تحركها السريع المفاجىء واخذت

تؤلمها بشدة، عضت نينا على شفتها السفلى بألم ووجهها بالغ الشحوب مقارنة مع خصلات شعرها الحمراء الذهبية، خطت خطوة نحو السلالم لتعود وتتسمر مكانها جراء فتح احد ابواب البهو...

ارتفع صوت الموسيقى صادحاً في أذنيها ومتراقصاً على اعصابها المتوترة، فعضت على شفتها مجدداً ونظرت للأسفل لترى امرأة سوداء الشعر تخرج من الغرفة التي سبق وخرج منها طوني لاكتوس والمدعو جون.

مدركة ان الصوت الصادر من غرفة المكتب قد توقف، راقبت نينا المرأة وهي تسير برشاقة عبر البهو، كانت امرأة جميلة، طويلة القامة بشعر اسود داكن، كانت ترتدي ثوباً برونزياً براقاً طويلاً.

«طوني؟» هتفت المرأة بصوت ساخر النبرات: «إلى اين ذهبت يا عزيزي؟»

اقتربت بخطواتها من عتبة غرفة المكتب هذا بينما تقلصت نينا خلف العمود الذي عادت إليه وهي ترى باب المكتب يفتح ويظهر على عتبته طوني لاكتوس حاملاً كوب عصير بيده.

قالت المرأة: «إذن انت وحدك! لعلك تجد ضيوفك عبئاً مملاً الليلة؟» ارتعشت نينا باحتقار لمراقبتها لهما. فهما صديقان دون شك وهي تسترق النظر اليهما.

«انها مجرد مكالمة بخصوص العمل.» اكد لها مضيفها مبتسماً وهو يمسك بيدها، ثم تابع: «كنت بطريق عودتي اليكم جميعاً يا لويزا، لم يكن من حاجة للخروج بحثاً عني.»

«لكنني اشتقت اليك يا عزيزي.» قالت ذلك وهي تقترب اكثر منه واقترحت: «هل نتخلص منهم؟»

قاطعها بلطف: «ليس الليلة يا لويزا لدي عمل مهم هذه الليلة سأهتم به فور مغادرة الجميع.»

«هذا العمل اهم عندك مني؟»

«عودي إلى بقية المدعوين يا لويزا، سأنضم اليكم بعد قليل.» قال ذلك بقسوة جعلت حتى نينا تضطرب.

وهذا ما حدث للويزا الجميلة ايضاً وعيناها مندهشتان لإدارة ظهره لها واحتسائه رشفة من كوبه. لكنها هزت رأسها بكبرياء وبريق الغضب بأعماق عينيها مذهل وخبيث قبل ان ترسم ابتسامة على شفتيها وتقترب منه مجدداً.

«آه يا عزيزي... لا تغضب مني. أنا آسفة ان كنت قد أفسدت عليك انفرادك بنفسك.»

هز طوني رأسه ضاحكاً بخفة رغماً عنه لنبرتها الطفولية المغيظة وخفَت حدته قليلاً وهو يستدير لمواجهتها مجدداً، كان على وجهه طيف ابتسامة وهو يقول: «انت لم تأسفي على أي شيء في حياتك كلها ايتها المحتالة، ان طلبت منك برقة العودة إلى ضيوفي اتفعلين؟»

ابتسمت قائلة: «سأكون مستعدة لفعل أي شيء تطلبه، أي شيء.»

«محتالة!»

غمر الاشمئزاز نينا مما تراه ونهضت من مكانها رغم تشنج ساقها متحركة إلى الجهة الأخرى من العمود حيث لن تتمكن من رؤيتهما. شعور رافض كان يغمرها لكل ما يعنيه

طوني لاكتوس وأمثاله. الرجل لا يتحلى بأي مبادىء أخلاقية، لعله قضى الأشهر القليلة السابقة بإظهار رغبته بنينا لوفل، لكن هذا لم يردعه عن اقتناص الفرص كلما عرضت عليه.

سيطر التعب الذي كانت تقاومه لأيام عليها، مجدداً ودون التفكير بما تفعل سارت بخفة إلى أقرب باب وفتحته بهدوء شديد، ثم تسللت إلى الداخل مغلقة إياه خلفها مغمضة عينيها وهي تتكىء عليه.

ما الذي افعله هنا؟ سألت نفسها للمرة الأولى منذ انطلاقها بهذه المهمة المجنونة.. واحتاجت فقط لتتذكر صورة والدها المستلقي على السرير كي تعرف الجواب. انها هنا بسببه. تنهدت بعمق ثم تجمدت مكانها وفتحت عينيها بذهول. هذه الرائحة! هذه الرائحة انها تعرفها جيداً. انها رائحة عطره، وهذه غرفته!

شمت هذه الرائحة قبل لحظات اثناء مروره في البهو. كانت تشم هذه الرائحة كلما اقترب منها خلال الأشهر الماضية.

كانت الغرفة حولها غارقة بالظلام فأخذت تجول ببصرها حولها كي تعتاد عيناها على الظلمة وتميز جوارها. لاحظت بأفكار مشتتة ارتجافها من البرد فمعطفها كان مبللاً وملتصقاً بذراعيها فخلعته وطوته ووضعته على ذراعها. ثم بدأت الأشياء وببطء تتضح حولها بأشكالها الداكنة كالظلال. هناك خزانة كبيرة وأخرى صغيرة قربها مليئة بالادراج، ثم كرسي متوسط الحجم وآخر اكبر حجماً قرب السرير. وتمكنت من رؤية

نافذة على احد الجدران والستارة السميكة عليها تمنع تسرب أي ضوء من الخارج.

خطت بتردد للأمام وتوقفت فيما السجادة السميكة على الأرض تمنع سماع وقع خطواتها، والصمت المسيطر على المكان يزيد من اضطرابها. وكأنها تقف وسط غابة مظلمة مرعبة، تهالكت كتفاها بإنهاك بينما بدأت تشعر بدفء الغرفة.

لولا شعورها بالإرهاق الشديد، لولا قلقها على والدها، ولولا كرهها واحتقارها لطوني لاكتوس، لتمكنت ربما من الضحك لتورطها بهذه المهمة المجنونة وتسللها بهذه الطريقة داخل هذا المنزل.

لكن نظراً للظروف الراهنة، فهي بالكاد قادرة على مجرد التفكير.

ستنتظر هنا، قررت بعناد، ستنتظر هنا لحين خلود طوني لاكتوس للفراش.

سارت مجدداً إلى وسط الغرفة ووجدت ساقها ترتطم بالكرسي الكبير قرب السرير ودون ان تشعر وجدت نفسها تجلس على ذلك الكرسي. لم يكن كرسياً بالفعل بل كنبة كبيرة ذات وسائد على الجانبين وارائك على الظهر. رحبت كلياً باراحة جسدها المتعب. فاجأها التثاؤب وابتسمت بوهن فيما هي تسترخي اكثر فاكثر على الكنبة الوثيرة وافلتت المعطف من بين اصابعها المتعبة لتتركه يستقر على السجادة السميكة، لم تعرف طعم النوم لليال ثلاث. بالكاد كانت تتحرك عن الكرسي الملاصق لسرير والدها. كانت تسمع حشرجة صوته المضطرب وهو يتمتم دون وعي

بكلمات غير مفهومة حول شركته وحول المال وطوني لاكتوس لدرجة لم تعد تتحملها وجعلتها تنحني قرب والدها وتسأله بقلق: «كيف اساعدك يا والدي؟ ماذا افعل لاجعلك مرتاحاً اكثر؟»

«هو يريد كل شيء.» رد والدها بصوت مخنوق: «يريدك، يريد شركة لوفل، يريد احترامي لذاتي، يريد كل شيء.»

صاحت: «من هو هذا؟ اخبرني وسوف...»

«لِمَ لم تكوني صبياً يا نينا.» قاطعها والدها وكأنه يكلم نفسه ولا يسمع صوتها قربه: «ما كان هذا ليحدث لو كنت صبياً...» اختفى صوته لشدة توتره لدقائق قليلة ثم عاد ليتابع: «يجب ردعه.» حاول النهوض عن السرير واحتاجت نينا لكل قوتها كي تبقه مكانه.

«لن يسعد حتى يجردني من كل شيء... من كل شيء...» هتف وهو يشهق ليعود للاستلقاء على الوسائد.

«عمن تتكلم؟» سألت بتوسل والذعر يخطف انفاسها لخوفها على والدها وكرهها لرؤيته على هذه الحال، لطالما كان رجلاً قوياً رجلاً يضج بالحياة وبالذكاء الحاد، ولهذا فمن الصعب جداً عليها تصديق ان بإمكان اي شخص ايذائه لهذه الدرجة.

«تخلصي منه يا نينا قبل ان يدمرك انت بدورك.» همس والدها بقوة: «الجشع، الخبيث... اقضوا على طوني. أوقفوه!»

عاد لشبه الغيبوبة ثانية بعد ان اخبرها اخيراً ودون معاودة سؤالها عن هوية من كان يتكلم عنه ومن كان مسؤولا عن فعل هذا به.

لذا ها هي هنا وقد جاءت لايقافه، لكن كيف لها تحقيق ذلك؟ انها مستعدة للقتال للتوسل أو للموت في سبيل ذلك. لكن ليس قبل ان تخبر طوني لاكتوس، عن رأيها به، ليس قبل... لا، هذا غير صحيح. فركت نينا جبينها المتألم، فأنت لا تهاجمين الرجل ثم تتوسلين رحمته بعد ذلك. لن تصلي لأي فائدة مرجوة بهذا الأسلوب.

تثاقلت عيناها والظلام حولها يملؤها بالفراغ ويمنعها من التفكير بوضوح وكأنها لم تكن هنا حقاً.

خلعت حذاءها، وتكورت في الكنبة، ثم أخذت تفرك اصابع قدميها الرطبتين الباردتين، لقد تركت سرير والدها وغادرت غرفته... ثم ماذا؟

لم تعد قادرة على التذكر، فمجرد محاولتها التذكر تؤلمها. انها هنا، لكن كيف؟ لا فكرة لديها عن ذلك، لكن ها هي هنا، اعادت هذه الفكرة الابتسامة المتعبة مجدداً إلى محياها. وحدثت نفسها قائلة: «انت تفقدين الصلة مع عقلك! ان لم تنتبهي، فسيأتي اطباء مستشفى المجانين لأخذك.»

كل ما عليها فعله الآن هو إبقاء نظرها على الباب الكبير الغارق بالظلام امامها والانتظار... الانتظار...

في الخارج كان المطر ينهمر برتابة، بينما داخل الغرفة المظلمة كان كل شيء هادئاً، مسالماً، بدأ رأسها يتثاقل واجفانها تتثاقل. مرة أو مرتان هزت رأسها بقوة مبعدة شبح النعاس عنها، لكن في النهاية انتصر النوم وتكورت نينا اكثر في عمق الكنبة وذراعاها تحيطان بركبتيها، لتستغرق بعدها بالنوم دون ان تدرك ذلك.

في الأسفل، كانت الحفلة قد اخذت بالانفضاض أبواب

السيارات تفتح وتغلق والناس تنادي والمحركات تزأر، ضحك، ثرثرة ثم لا شيء حيث سيطر الصمت على كل المنزل، لكن رغم ذلك لم يأو طوني لاكتوس إلى غرفته..

بعد ساعات طوال، فتح باب غرفة النوم ثم أغلق ثانية. تردد صوت رجل يشتم لم يكن مسيطراً كلياً على اعصابه فيما هو يخلع ملابسه ويلقيها على الأرض. كان متعباً، جداً وبانتظار لحظة ارتمائه على السرير. ان المكالمة الهاتفية التي تلقاها في وقت ما قبل الآن، انهت اشهر طويلة بالنسبة له من الاحباط، وكل ما كان يريده هو النوم، التخلص من التعب ونسيان كل مشاكله لبعض الوقت...

استيقظت نينا فجأة وفتحت عيناها بذهول ودهشة، اخذت تحدق بالظلام الحالك حولها، لقد أيقظها شيء ما، لا تعرف ما هو، هذا ما جعلها تصرخ بصوت خافت وهي تنزل ساقاها للأرض وتحاول الوقوف.

«ما الذي...؟»

جاءها صوت الشتيمة غامضاً وبعيداً، الأمر الذي جعلها تنهض من مكانها وهي نصف واعية فيما عقلها يقارن محيطها. الشتيمة التي سمعتها، والكنبة التي كانت نائمة عليها بغرفة والدها حيث قضت الليالي الثلاث الماضية.

«والدي؟» همست بصوت ناعس محاولة تحسس طرف السرير، وهي تدرك ان هناك خطب ما لكنها لا تستطيع معرفته.

دون سابق إنذار، هوى جسم ما قربها على السرير قبل ان تعي ما الذي يحدث، لحظات قليلة وتذكرت كل شيء وأين هي، ثم سمعت طوني لاكتوس يقول: «حسناً، حسناً، حسناً

ماذا لدينا هنا؟ من تكونين؟» سأل وكأن آخر ما كان يتوقعه هو وجود امرأة غريبة في غرفة نومه: «أو لعلك ارسلك احدهم للتخفيف عن هذه الروح المعذبة.»

«لا.» صاحت بذهول وضعف.

«صه، صه.» عنقها واصابعه تتحسس قسمات وجهها: «هذا حلمي. ولا احب من تكون عندي غير مطيعة ولا مشاغبة، لربما احبها مشاغبة بعض الشيء.»

ادركت بخوف شديد انه كان بعيداً كل البعد عن التعقل والمنطق. انه يعتقد نفسه في حلم... «اتركني وشأني.»

عنقها بمرح: «يا لك من مشاغبة عليّ اسكاتك بطريقة ما.»

ماذا سأفعل الآن؟

«ارجوك...» همست بتوسل.

«اجل...»

«كم أنت حلوة!» همس وهو يبتعد عنها للحظة وانفاسه متقطعة. هذه فرصتها، وقفزت عن السرير. كان همها مغادرة هذا المكان حيث كان طوني لاكتوس على وشك تسديد صفعته المهينة الأخيرة لآل لوفال، وذلك دون ان يدرك حتى ما الذي يفعله!

«من انت؟»

جاءها الصوت الغاضب شاقاً ظلام الغرفة.

تجمدت نينا مكانها وقلبها ينبض بشدة بينما عينيها ممتلئتين بالدموع، هذا الى انها كانت غير قادرة على الرد.

فترة صمت أخرى حيث لم يتحرك احد ثم سمعت نينا

صوت حركة ما وكأنه يمد يده لسحب شيء ما فانتهزت هذه الفرصة وانحنت على الارض قليلاً بحثاً عن حذائها، كان شعرها الطويل يغطي وجهها ويزعجها فيما موجة رعب هائلة تجتاحها.

وجدت فردة حذاء واحدة وارتعشت اصابعها وهي تمسك بالحذاء الجلدي فيما امسك بكتفها فجأة، الأمر الذي جعلها تصرخ بأعلى صوتها من شدة خوفها.

الفصل الثاني

تسمرت نينا في مكانها في الظلام، بعد ذلك سيطر الصمت المطبق فيما أصابعها تتمسك بشدة بالحذاء.

«أيتها الحمقاء، ما الذي جعلك تصرخين هكذا؟»

رفعت رأسها واحساسها بأنها في كابوس ما يتعاظم مع مرور كل لحظة، لم تستطع التكلم، كانت صدمتها قوية جداً فوقفت هناك تحدق به عبر خصلات شعرها وهي عاجزة كلياً عن التفكير.

هزها بقوة، شتم بحنق وأزاح شعرها عن وجهها بإحدى يديه فيما أطبقت الأخرى على عنقها وكأنه على وشك خنقها.

«اجيبيني أيتها المجنونة! لماذا أنت في منزلي هنا؟ في غرفتي؟»

هزها بشدة ثانية وأعادها بذلك إلى الحياة.

«أبعد يداك عني.» صرخت بعنف: «إياك أن تجرؤ على ايذائي.»

«ايذائك؟» ردد بعدم تصديق: «يجب أن أخنقك وأسلبك حياتك أيتها الحمقاء المجنونة.» وكأنه لا يعرف بما يناديها غير ذلك. كانت أصابعه تضيق الخناق على عنقها وشعرت أنها تكاد تفقد وعيها.

رفعت وجهها والتحدي في كل ملامحها، كانت نظراتها ترسل الشرارات عبر ظلام الغرفة متحدية عينيه

الغاضبتين: «أكرهك يا طوني لاكتوس. أحتقرك وأحتقر مجرد رؤيتك.»

جرّها بقسوة وأخذت تسعل لشدة قبضته على عنقها، ثم أشعل الضوء.

«ماذا...» صاح بصوت مخنوق: «نينا لوفل؟»

رمشت عينيها لتعتاد على الضوء ورأت الذهول والدهشة في نظرته فقالت: «وأنت الحقير عديم القلب الذي يحاول سرقة شركة والدي منه.»

«أنا؟» بدت عيناه جاحظتان من هول الدهشة ثم صمت وعاد قناع الثبات ليرسم ملامحه، لا شعور بالذنب، لا ندم على قسمات الوجه الذي كان يحدق بها بعينين ثابتتين. ثم أفلت عنقها وتمتم: «كنت محقاً، أنت فعلاً مجنونة.»

اتكأت نينا على الباب لعدم قدرتها على حفظ توازنها نلك لشدة الاضطراب الذي تشعر به. رفعت نظرها إليه ووجدته قد ارتدى رداء نوم كحلي اللون. لا بد انه كان يحاول تناوله حين سمعت تلك الضجة وحين صرخت بأعلى صوتها. كان يتنفس بشدة وكأنه يحاول جاهداً كبت غضبه وتهدأة أعصابه.

في غرفة مكتظة بالناس كان هذا الرجل يثير خوفها ورعبها لكن هنا في هذه الغرفة، كانت تختبر شعوراً جديداً ومختلفاً تماماً من الخوف منه.

ابتسمت بخفة رغماً عنها وهي تفكر انه لربما كان على حق ولعلها فعلاً مجنونة، فالمجانين وحدهم يوصلون أنفسهم لهكذا موقف.

رأى الابتسامة لكنه لم يعجب بها. أمسك بذقنها بقوة ورفع نظرها إليه بعينين سوداوين وعميقتين كالبئر ذاته

وقال: «تجدين كل هذا مسلياً، أليس كذلك؟» ازدادت حدة نبرته وهو يتابع: «ولا تشعرين بأي أسف أو ندم لحقيقة وجودك في غرفتي؟»

حدقت بوجهه وقالت: «آسفة.»

ردّد بحنق: «آسفة؟ تتسللين إلى منزلي وتقبعين في غرفة نومي بانتظاري، ثم تصرخين بأعلى صوتك وكأنني أنا من تسللت إلى غرفتك.»

سارعت تدافع عن نفسها: «اعتقدت نفسك تحلم، فأخفتني.»

سألها بسخرية: «وما هو عذرك؟ لا ايتها العزيزة، لم أكن احلم.»

«انك تشعرني بالقرف.»

«وأنت يا آنسة لوفل تشعرينني... بالغضب الجامح، والآن... أريد أن أعرف ما الذي تفعلينه هنا، وأريد معرفة ذلك الآن لذا ابدأي بالكلام.»

سحبت نينا نفساً عميقاً ومشاعرها ممزقة، هذا كابوس. إنه كابوس مخيف.

«تكلمي!» قال ثانية وهو يهزها.

لا، ليس كابوساً، فكرت. إلا ان اعتبرت الأيام الثلاثة الماضية ككابوس حي واتجهت أفكارها إلى لحظة بدء كل هذه الفوضى بسماعها صراخ والدها على الهاتف: «ابعد يداك الجشعتان عن ابنتي وعن شركتي، فأيهما لن يكون لك.»

كان هذا بمثابة توقيع والدها على شهادة موته، فمن يهين طوني لاكتوس لا يتوقع نجاته من عواقب ذلك. مهما كان رد اليوناني على كلمات والدها فهي لم تعرف، لكن

حين هرعت إلى الغرفة بعد سماعها صوت ارتطام سماعة الهاتف بقوة، أدركت ان كارثة ما قد حدثت لأن وجه والدها كان شديد الشحوب.

«لا يمكنه فعل هذا بي... لا يمكنه.» ثم قلص الألم قسمات وجهه وراقبته بذعر وهو ينكمش واضعاً يده على قلبه قبل أن يهوي أرضاً. عادت الآن إلى الحاضر، همست والغضب يلون نبرتها: «تعرض والدي لنوبة قلبية حادة في اليوم الذي تشاجرت معه فيه.»

قطب بدهشة بينما تنهدت نينا بنفاد صبر والاشمئزاز يزداد داخلها من هذا الرجل الذي لا ينكر حتى لحظة تسببه بتدمير حياة رجل آخر.

قالت بصوت مخنوق: «قبل ثلاثة أيام. تعرض والدي لنوبة قلبية.»

بقي على حالة من الدهشة وهو يعلمها: «هذا ما عرفته هذا المساء.»

«لم تعرف هذا من قبل؟» سألت وعيناها تعكسان عدم تصديقها لما يقول.

هز رأسه قائلاً: «كنت مسافراً، عدت هذه الليلة فقط، مع انني لا أجد أي صلة بين ما حدث لوالدك وبين...»

نظرت إلى يديها اللتين تعبثان بأكمام كنزتها الزرقاء وتابعت بتعاسة: «منذ ذلك الحين أصبحت مضطرة لسماع ما كان يردده مراراً وتكراراً عنك... الاستماع لتمتماته المضطربة... مراقبته وهو يذوي رويداً رويداً مع كل شتيمة كان يوجهها إليك.» توقفت لتأخذ نفساً عميقاً يبعد عنها الدموع التي بدأت تهدد بالانهمار والتعاسة تغمر

ملامحها ثم تابعت: «أردتك أن تعلم يا سيد لاكتوس. أردتك أن تعرف نتائج جشعك على ضحاياك. ولهذا أنا هنا الليلة... لأخبرك أنه مهما اعتقد الناس انك رجل أعمال محترم وبارع، فأنا أكرهك! أمقتك! أنت وأمثالك تشعروني بالاشمئزاز.»

«شكراً لك.» قال وهو يتلقى بهدوء كل اهاناتها. «واطلاعك لي على هذا كان يستحق ابتعادك عن سرير والدك وتركه وحده!» لم يكن هذا سؤالاً بل ملاحظة، ثم أضاف بجفاف: «بما في ذلك المخاطرة بنفسك كما يبدو.»

ردت بغضب: «لا علاقة لذلك بالأمر.»

«حقاً؟» سأل وعيناه المتقلصتان تبرقان بشدة: «لكنني أقول انها الأساس في هذا.» ابتسم بسخرية قبل أن يتابع: «أترغبين بالافصاح عن أي شيء آخر قبل... قبل أن نضع حداً لهذه الليلة الحافلة بالمعلومات الخطيرة؟»

نظرت إليه بتحدي قائلة: «أجل، أتيت إلى هنا هذه الليلة كي...» وشعرت بالاختناق لكن كان عليها متابعة ما بدأت بقوله: «كي اسألك... أن لا تفعل هذا به.»

«آه؟» كانت ردة فعله المبهمة لا تمنحها أي إشارة عما يجول في رأسه.

تحركت نينا بعدم ارتياح وتمتمت: «توقف عن جعل هذا الأمر أكثر صعوبة علي مما هو عليه الآن... لا بد انك تعرف حقيقة نفسك دون حاجة لي لإخبارك بذلك. حسناً، إذن أنت غاضب من تسللي إلى منزلك، لكن...»

«محاولة؟» قاطعها بعنف والغضب ينفجر بداخله مجدداً: «هل أنت آسفة لذلك؟»

للمرة الأولى بدا يونانياً، يونانياً قاسياً ومخيفاً.

ازدردت نينا ريقها بصعوبة وقالت: «أنا...» وماتت الكلمات في حلقها، ثم سحبت نفساً مرتعشاً قبل أن تتابع: «أنا آسفة...» وزادت زرقة عينيها لشدة شعورها الداخلي بالذنب.

«تباً لك أيتها الحمقاء الغبية.»

«أرجوك يا سيد لاكتوس استمع لي.» قالت وقد أظهرت بعضاً من رباطة جأشها: «لم أتعمد حدوث أي من هذه الأمور... أنا... أنا أتيت إلى هنا الليلة للتحدث إليك! بشأن والدي... بشأن مرضه و... وتعاسته أردت التوسل إليك لمساعدتي!»

قال بقسوة: «بالتسلل إلى منزلي؟ برميك الاهانات بوجهي؟ بمحاولتك إدخالي القبر قبل حتى وصول والدك إليه؟»

كانت أنفاسه لاهثة لشدة غضبه فيما يداه داخل جيبي رداءه.

«آسفة.» قالت مجدداً: «استغرقت بالنوم على الكنبة... وأنت أخفتني...» عضت على شفتها المرتجفة واقتربت منه واضعة يداً مترددة على ذراعه: «نهضت فوراً دون وعي... كنت على شفير الانهيار بوصولي إلى هنا الليلة...» سحبت نفساً عميقاً قبل أن تتابع: «والدي ملقى على سريره دون حراك منذ أيام وهو يتمتم دون وعي بكلمات عن شركته، عن المال... وعنك في النهاية. لم أعد قادرة على تحمل المزيد... يخشى الأطباء تعرضه لنوبة قلبية أخرى قد... قد تكون قاتلة وأردت أنا تخفيف ضغط ما يعانيه... سألته ما

الذي يزعجه وماذا بإمكاني فعله لمساعدته...» ناضلت لمنع انهمار دموعها وتابعت: «انه بحاجة للشركة يا سيد لاكتوس، فهو ليس لديه ما يعيش لأجله غيرها.»

«لديه ابنته التي هي أنت.» قال بصوت يخلو من أي تعبير: «بالطبع أنت أكثر من كافية لجعل أي رجل راغباً بالحياة.»

«لست ابناً.» رددت بأسف: «وأنت كونك يونانياً تفهم ما أعنيه أكثر من أي شخص آخر.»

«إذن لا بد انك أكثر جنوناً مما اعتقدته ان كنت لا تعرفين كم يهتم والدك بشأنك.»

رفعت نينا عينيها محدقة به بدهشة نظراً لشدة صدق نبرته عندما نطق بكلماته الأخيرة. وهناك مجدداً شعرت بشيء ما يعتصر قلبها وهي تنظر إلى وجهه الوسيم، وإلى عينيه الواسعتين، ثم تأوهت بعمق في داخلها لشدة انجذابها لهذا الرجل، فرفعت يدها المرتعشة لتخفي وجهها كي لا يرى أياً من التعابير الكامنة داخل عينيها.

ثم تبدل كل شيء مجدداً وعاد الغضب ليفجر الأجواء بينهما، فأمسك بمعصمها بقسوة جعلتها تصرخ من الألم.

«ما هذا؟» صرخ وهو يبعد يدها عن وجهها ويضعها أمام عينيها: «ما هذا؟»

«إنه... إنه خاتم.» شهقت بدهشة.

قال: «أرى بوضوح انه خاتم. ما أريد معرفته هو من الذي وضعه في اصبعك.»

«انه... انه خطيبي.» همست وقد اختفى اللون من وجهها وهي تتخيل وجه جيسون أمامها. فجيسون لم يخطر ببالها

إطلاقاً قبل الآن وحتى هذه اللحظة! تمَ وضع الخاتم بإصبعها الليلة السابقة فقط نزولاً عند اصرار جيسون كي تشعر بالأمان بحال حدوث أي سوء لوالدها.

«خطيبك؟» ردد ناطقاً الكلمة بتؤدة وسخرية: «وما اسم هذا الشاب المحظوظ؟»

«جيسون.» تمتمت وهي تدرك تماماً كما يدرك الرجل الواقف أمامها انها نوعاً ما قد خانت جيسون هذه الليلة: «جيسون هانتر.»

«ماذا؟» صاح وهو يفلت يدها بعنف متابعاً: «لا عجب ان جوناس العجوز سوف...»

توقف فجأة واستدار ليواجهها متابعاً بلهجة ألطف: «جوناس، على علم بهذا كما أظن؟»

«أنا...» مجدداً، تعمق الشعور بالذنب داخل عينيها وهزت رأسها بالنفي، فوالدها لم يعرف بعد.

«تعرفين كم سيستاء والدك من هذا.» قال لها جيسون ذلك حينها، فهو يعرف مدى امتعاض جوناس من فكرة كونه صهر المستقبل وقد تابع قائلاً لها: «لكنني في هذه اللحظة قلق عليك أنت لا على رأي والدك بي، تحتاجين للطمأنينة ولأن تعرفي بأن أحدهم يحبك ويهتم بأمرك... بحال حدوث الأسوأ.»

بضعف، اقتنعت هي بما قال، كان ارهاقها يمنعها من التفكير بوضوح واضطرابها يدفعها للقبول بالطمأنينة والراحة اللتين يعرضهما عليها.

«اخرجي من هنا آنسة لوفل.» قطع الصوت الصارم النبرات افكارها تلك وجعل قلبها ينبض بشدة، كان طوني

لاكتوس ينظر إليها بازدراء: «هيا غادري هذا المكان قبل أن استدعي الشرطة لاعتقالك بسبب تسلّلك إلى منزلي.»

راقب بسخرية هروب اللون من وجهها لإدراكها قسوة حقيقة ما نطق به.

«عودي إلى المنزل.» ردد ثانية: «اخرجي من غرفتي من بيتي، اخرجي يا آنسة لوفل من حياتي كلها. عودي إلى حيث تنتمين إلى جانب سرير والدك، إلى خطيبك الذي ينتظرك.»

«اخرجي.» صاح من جديد عندما لم تقم بأية حركة، فلم تشعر إلا وهو يمسكها بعنف من معصمها ويجرها بخشونة خارج الغرفة ثم نزولاً على السلالم إلى البهو، ولفح الهواء البارد وجهها فيما فتح الباب الرئيسي، ثم افلتها دون النطق بكلمة واحدة على العتبة ودخل مغلقاً الباب خلفه بعنف هائل فيما هي تحاول عدم فقدان توازنها من جراء إفلاته المفاجيء لها.

كانت لا تزال تمطر وحدقت نينا عبر ظلام الممر إلى الطريق العام. كان هناك شيئاً غير حقيقي بكل ما تراه وبكل ما يحدث بما في ذلك وجودها هنا.

ارتجفت من البرودة وأحاطت نفسها بذراعيها. سارت عبر الممر وقدميها العاريتين تطآن الأعشاب الرطبة لحين خروجها من البوابة الرئيسية. نظرت يمنة ويسرة متسائلة عن كيفية وصولها إلى هنا.

تذكرت انها جاءت بسيارة أجرة. فهي لم تكن بحالة تسمح لها بالقيادة. رفعت يدها إلى جبينها، لكم تشعر بالتعب! انها تعبة لدرجة ان بإمكانها الاستلقاء على

الرصيف المبلل هذا والاستغراق بالنوم للأبد. ارتجفت مجدداً واستدارت نحو اليسار وقدماها لا تصدران أي صوت على الرصيف البارد.

تسللت المياه والبرودة إلى عظامها بظرف دقائق، وارتجفت بشدة.

أي جنون دفعها للمجيء إلى هنا؟ تساءلت بيأس والدموع التي حبستها مطولاً تتدافع على وجهها، كان كل ما كانت تراه أمامها بعد تركها سرير والدها المريض هو وجه طوني لاكتوس الوسيم مبتسماً لها. أرادت مسح تلك الابتسامة عن وجهه! أرادت ايلامه بقدر ما يؤلمها! واقنعت نفسها أن اعجابه الشديد بها سيدفعه لإظهار بعض الرحمة نحوها ونحو والدها. لكن هذا لم يحدث وقد اخطأت بكل ما فعلت ولم تساعد والدها، كما خانت جيسون والأهم من هذا كله، استنتجت بوهن بأنها خانت نفسها.

كانت تشعر بالندم الهائل لتصرفها في هذه الليلة المجنونة. حينها فقط شعرت باقتراب سيارة ما منها فتسمرت مكانها وغمرها رعب من نوع آخر. هذا آخر ما تحتاجه سائق ما يعتقدها...

استدارت برأسها بحدة مع توقف سيارة مرسيدس فضية فاخرة على الرصيف أمامها وكاد قلبها أن يتوقف عن الخفقان.

فتح باب السائق وخرج طوني لاكتوس منه تاركاً الباب مشرعاً وهو يخطو للجهة الأخرى ويفتح الباب الأمامي.

قال: «اصعدي.»

وقفت نينا مكانها محدقة به. كان يرتدي كنزة صوفية

رمادية وبنطال أسود ووجهه صارم وعيناه لا تخبرانها بشيء.

كرر بهدوء: «اصعدي يا نينا، سآخذك إلى منزلك.»

شيء ما... ربما الرقة البسيطة في نبرته أو بريق الشفقة الذي ظهر في عينيه أو ربما بالرغم من كل ما فعلته لم يستطع تركها تسير هكذا تحت المطر في حالتها... مهما كان السبب، فقد كانت كافية لتدمير آخر حصن من حصونها، ووجدت نفسها تشهق بدموع غزيرة فأخفضت رأسها بخجل لشعورها بالإذلال الأخير أمامه فيما هي تنهار كلياً أمام هذا الرجل.

أحاط كتفيها بلطف وسار بها دون التفوه بكلمة واحدة نحو مقعد السيارة حيث أجلسها ووضع حولها حزام الأمان ثم غمرها بدثار سميك كان داخل السيارة. أغلق باب السيارة ثانية ووجدته خلف مقود القيادة بعد لحظات قبل أن تنطلق السيارة مجدداً.

انطلقا بصمت كان يقطعه فقط صوت نحيبها الخافت، فيما جهاز التدفئة في السيارة يحاول جاهداً ايصال حرارته لجسدها المتجمد. تناول منديلاً من صندوق السيارة الأمامي وعيناه مثبتتان على الطريق أمامه ثم رماه نحوها.

قال بصوت ابح عندما هدأت قليلاً: «نينا... علينا...»

لم يكمل جملته لانشغاله بإبعاد السيارة عن هرة سوداء ظهرت فجأة وسط الطريق وكاد أن يدهسها.

«فأل خير أم نذير شر في انكلترا؟» سمعته يسأل بصوت مرح فرفعت نظرها إليه ووجدته يبتسم ثم تابع: «هناك تأويلات مختلفة عندما تقطع هرة سوداء أمامك فجأة وذلك

في مختلف مناطق العالم. في اليونان هذا فأل خير وحظ طيب لكن...» هز كتفاه متابعاً: «معروف عن اليونانيين تأويلهم لكل شيء كفأل خير وحسن طالع حتى ولو عنى ذلك تغيير المقولة لتناسب احتياجاتهم.»

«لا يبدو عليك يونانياً.» قالت بصوت خافت وقد توقفت دموعها وغمرتها عاطفة مختلفة الآن.

هز كتفيه مجدداً وقال: «عشت معظم حياتي في أماكن مختلفة من العالم.» أخبرها وتركيزه منكباً على الشارع أمامه: «كان والدي يعمل في السلك الدبلوماسي وتعلمت في سنوات حياتي الأولى التكلم بعدة لغات وبطلاقة. كانت اللغة الانكليزية هي الأسهل لي لأنني تعلمت في المدارس هنا.»

«الهررة السوداء فأل خير.» قالت فجأة وأدركت وهي تنطق بالكلمات انها تحذو حذو اليونانيين بتحوير الأقاويل وفقاً لرغباتها هي.

«إذن لربما قد ننجو.» قال مبتسماً وأحست انه يحدق بها.

«أو ربما لا.» أضاف بجفاف وعاد ذاك الشعور بالتوتر ليشحن الأجواء بينهما وليجبرها على الاعتراف بكل تلك المشاعر التي اجتاحتها الليلة والتي تؤكد دون أدنى مجال للشك قوة اعجابها بهذا الرجل. انه يعرف ذلك بدوره دون شك، قالت في نفسها وهي ترى نظراته إليها. لقد أعجب بها منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناه عليها وكل ما أنجزته الليلة كان إظهار مدى انجذابها نحوه هي بدورها. هو لن يترك هكذا فرصة تفلت منه. فهو ليس من نوع الرجال الذين يتراجعون أمام فرصة نصر مؤكد.

ارتجفت وأبعدت نظرها عنه كي لا يدرك بما تفكر به.

سأل: «أتشعرين بالبرد، معطفك وحذاءك في المقعد الخلفي للسيارة لكنهما مبللان ولا أظنهما سيفيدانك بهذه الحالة.»

قالت: «أنا... بخير.» وتابعا بقية الرحلة بصمت.

تنهدت بعمق بوصول السيارة إلى مدخل منزلها، أخبرتها الأضواء المتسللة عبر الستائر ان أحداً لم يخلد للنوم بداخله بعد. لا بد انها غادرت دون إعلام أحد فهي لا تذكر ما حدث. فالإرهاق والضغط بعد كل ما حدث هذه الليلة كانا يؤثران على ذاكرتها. ليت بإمكانها محو كل تلك الأحداث التي مرت بها في الساعات الماضية، لكنها لا تستطيع ذلك فالذكرى نابضة بالحياة بداخلها لتذكّرها كل لحظة بمدى حماقتها وجنونها كما قال طوني لاكتوس. توقفت المرسيدس الفضية خلف سيارة أخرى وانتفض قلب نينا برعب.

قالت بذعر: «الطبيب هنا. لا بد ان حالة والدي قد ساءت.»

استدار إليها وسألها بهدوء: «هل ستكونين بخير؟»

لم تجب. فما جدوى ذلك؟ بإمكانها القول انها بخير لكن هذا سيكون كذباً. كانت تخشى من حدوث أمر سيء لوالدها أثناء غيابها، ومن مواجهة النظرات الفضولية والأسئلة التي ستفضح حقيقة ما حدث معها هذه الليلة.

همست وهي تدفن وجهها بين يديها: «لا أرغب بالدخول إلى هناك.»

قال بصرامة: «سأرافقك للداخل.»

«لا.» قالت ويدها تعبث بمسكة الباب بارتباك فيما قلبها يرتجف للعرض الذي قدمه إليها.

أصر قائلاً: «بلى، لا تستطيعين مواجهتهم وحدك. ليس في الحالة التي أنت عليها. سألتني المساعدة والسبيل الوحيد لهذا هو بمرافقتك إلى الداخل.»

«لكن...» أدركت الآن انها لم تعد متأكدة من رغبتها بمساعدته. شعرت بالحيرة والارتباك، فوضع يده بلطف على كتفها.

قال: «لا تقولي لكن، فات الأوان على ذلك الآن، على كل حال فقد فتح باب منزلك وظهر على عتبته شاباً وسيماً لكن بالغ العدائية.»

«جيسون.» قالت نينا وذهنها متلبد بالأفكار.

«آه.» علّق الرجل قربها وظهر شيء قاس داخل عينيه: «الخطيب، انتظري هنا.» ثم خرج من السيارة ودار حولها ليفتح لها الباب.

الفصل الثالث

كانت قبضة طوني على ذراع نينا ثابتة وهو يساعدها على مغادرة السيارة، كانت هي بدورها بحاجة لهذا الثبات، فقد كانت ترتجف بشدة ولم تكن قادرة على حفظ توازنها.

«نينا.» هتف جيسون الذي بدا وكأنه قضى الليل بأكمله يتآكله القلق جراء غيابها، الأمر الذي جعلها تشعر بالذنب: «أين كنت؟ هل لديك أدنى فكرة عن المتاعب التي سببتها لنا؟»

«مرحباً يا جيسون.» أجابت بهدوء وهي تتحاشى مواجهة القلق الغاضب في عينيه متسائلة عما سيكون جوابها حين يسألها عما فعلته هذه الليلة. حاولت ان تفلت ذراعها من طوني، لكنها لم تستطع، فقد بدا وكأنه يسلم طفل ضائع لذويه. كما شعرت نينا أنها حقاً طفل تافه، سخيف وغبي يستحق الصفع لما فعله هذه الليلة.

«تغيبت طيلة الليل.» قال وصوته الغاضب يضغط على أعصابها: «جن جنون سادي، وأنا كذلك! انظري إلى حالتك.»

ارتفعت يدها الحرة بارتباك لتصحيح مظهر شعرها فيما عيناها مركزتان على قدميها بخجل.

«ما الذي أصابك ليجعلك تغادرين فجأة هكذا؟»

قال طوني بصوت هادئ: «كانت نينا معي.»

سأل جيسون بفظاظة: «ومن تكون أنت؟»

«انه السيد طوني لاكتوس يا جيسون.»

سارعت نينا بالقول وهي كارهة لطريقة نظر كل من الرجلين للآخر: «كان عليّ مقابلته لأجل...»

«أنت طوني لاكتوس؟» قاطعها جيسون وعيناه تبرقان فيما هو ينقلهما من طوني وإليها، فارتعشت نينا لادراكها ما كان يجول بفكره؟ سبق لها وأخبرته عن اليوناني المتعجرف الذي يلاحقها.

سألها جيسون: «ما الذي يحدث؟»

«أنا...» ترى من أين تبدأ؟ تساءلت بتعاسة. والأسوأ من ذلك أين قد تنتهي؟ للمرة الأولى بحياتها تحاشت النظر مباشرة إلى جيسون: «كان عليّ مقابلة السيد لاكتوس بخصوص أمر هام.»

«واستغرقت لذلك طيلة الليل.» سأل وخيوط الفجر تلمع على قسمات وجهه الثابتة. طأطأت رأسها ومسحت بيدها جبينها. كان رأسها يكاد ينفجر وهواء الصباح البارد يلفها ببرودة شديدة.

«اضطررت للانتظار لحين يصبح السيد لاكتوس حراً.»

«هل قضيت الليل معه؟»

«لا!» أنكرت، وتورد وجهها بخجل لكنها انبت نفسها لذلك.

«أتظن هذا هو نوع النقاش الواجب علينا التحدث به عند عتبة منزل رجل مريض؟» سأل طوني لاكتوس ذلك بصرامة.

«والدي!» شهقت نينا بذعر لأنها نسيت كل شيء بخصوصه.

انتزعت ذراعها من قبضة طوني وهرعت بسرعة إلى الداخل. كانت سادي العجوز تجلس أسفل السلالم ووجهها المتغضن ينطق بالقلق، فتضاعف اضطراب نينا وصعدت السلالم وهي تكاد تتعثر لشدة سرعتها.

لم تستطع دخول الغرفة. فكل حدس داخلها كان يعارض فكرة دخولها غرفة والدها، وذلك لشدة ذعرها مما قد تراه بالداخل.

«افعلي ذلك بهدوء.» تمتم صوت هادىء خلفها بينما كانت ترتجف بشدة.

«هل هو...؟» لم تستطع طرح السؤال فقد ماتت الكلمات في حلقها.

«لا.» طمأنها طوني لاكتوس بلطف وهو يمسك بيدها وتابع: «يبدو أنه تعرض لنوبة أخرى... لكنها نوبة ثانوية.» سارع للايضاح عندما اخفت وجهها بيديها: «الطبيب معه الآن وهو أحسن حالاً.»

همست: «ما كنت لأسامح نفسي أبداً لو...» ابتلعت غصة واستقامت متسائلة: «أين جيسون؟» واجالت بنظرها بحثاً عنه.

«بدا متردداً حيال الاقتراب من غرفة والدك.» علق بجفاف.

قالت: «طبعاً.» فقد يتعرض والدها لنوبة أخرى لمجرد شكه بوجود جيسون في منزله.

فكرت، يا للفوضى العارمة. لو لم يكن والدها يمتعض من جيسون لهذا الحد، لكان الأخير مصدر راحة للأول فيما هو بحالته الصحية هذه. فبوضعه محاسباً بارعاً، كان جيسون

ليتمكن من رفع عبء شركة لوفل، عن كاهل والدها. لكنها لم تجرؤ على مجرد اقتراح ذلك. من المؤسف ان أهم شخصين في حياتها لا يتفقان مع بعضهما البعض.

قال طوني لاكتوس: «الآن إن كنت تشعرين أنك مستعدة فسندخل لرؤية والدك معاً، ولنرى إن كان بوسعنا ايجاد طريقة تؤمن له هدوء البال.» ثم تابع بصراحة: «هذا ما تريدينه أليس كذلك؟» حين رأى نظرة الشك في عينيها.

«أنا... أجل.» اجابت عابسة وهي ليست متأكدة من أي شيء. لربما لو تقبل والدها جيسون لما وقفت هي هنا وقبلت المساعدة من عدوه.

قال برضى: «جيد. إذن استجمعي شتات نفسك وصلي أن يكون والدك مرهقاً لدرجة لا تسمح له بتمييز حالة مظهرك، ولندخل.»

حالة مظهرها، ونظرت نينا فورا إلى قدميها الملطختين بالوحل ورفعت يدها إلى شعرها المبلل تصلح من مظهره.

كان الطبيب مارتن يغلق حقيبته لحظة دخولها. رفع نظره اليهما فوراً وظهر الارتياح عليه لرؤيتها.

«نينا! يسعدني انك اتيت، كان والدك شديد الخوف والقلق عليك.»

طأطأت برأسها وحوّلت نظرها بقلق نحو الجسد الضعيف المرتاح على السرير: «كيف... كيف حاله؟»

«لا أحمق يشبه الأحمق العجوز، كما يقول المثل.» علق الطبيب الذي كان صديقاً أيضاً لجوناس ومنذ عهد بعيد:

«اضطرت لتثبيته بالسرير هذه المرة، لن يحاول القيام بأية حيل سخيفة أخرى لبعض الوقت.»

«ماذا فعل؟» سألت وهي تتحرك بضعف نحو السرير.

اجاب الطبيب مارتن: «لقد نهض من السرير. وسار حتى الهاتف الموجود في مكتبه قبل أن ينهار. قال إنه أراد مكالمة أحدهم كي يطرد شخصاً ما... لكني لم أستطع تذكر الاسم فقد كان غريباً على مسمعي.»

قال طوني: «لعله اسمي. طوني لاكتوس.» معرفاً عن نفسه ونظراته مركزة على نينا الجاثية قرب السرير ممسكة بيده النحيلة بين يديها وتابع: «هل سيكون بخير؟»

هز الطبيب كتفيه قائلاً: «حذرته منذ أشهر كي يهوّن الأمور عليه. إنه المسؤول عن حصول النوبات له. فهو لا يستمع لنصائح الأطباء ولم يكن ينفذ أياً مما أطلبه منه. لكن جوناس معروف بعدم استماعه لأحد.»

طأطأ طوني لاكتوس رأسه وكأنها يوافق الطبيب على ما يقول وعيناه لا تزالان على نينا التي تحادث والدها بصوت خافت. فيما عينا والدها مغمضتان، وبدا أنه لا يشعر بوجودها قربه.

قال الطبيب: «أردت نقله للمستشفى بعد تعرضه للنوبة الخطيرة الأولى لكنه رفض بشدة. قائلاً إنه إن كان سيموت فهو يريد الموت على فراشه، وكاد العجوز العنيد أن يفارق الحياة بمغادرته السرير ليلاً. لو كانت نينا هنا لما تحرك قيد أنملة عن السرير، لكنها بدورها قد عانت الكثير في الأيام الثلاث الماضية. إنه مريض مريع وأنا قلق بشأنها هي أيضاً.»

«لا داعي للقلق بشأنها.» تمتم طوني لاكتوس وعيناه لا تفارقان وجه نينا المتعب: «سأكون هنا لمشاركتها هذا العبء الآن.»

«نينا...؟»

وجذب السؤال الضعيف عيون الجميع إلى الرجل الممدد على السرير.

«أنا هنا يا والدي.» طمأنته بصوت باك.

«أين كنت؟» سألها جوناس وعيناه اللتان كانتا زرقاوان براقتان كعيني ابنته بدتا الآن بلون رمادي شاحب وهو يفتحهما ببطء ناظراً إليها.

اغشت الدموع نظرات نينا واختنقت كلماتها.

«كانت معي يا جوناس.» رد طوني لاكتوس بهدوء. كان قد تحرك ووقف قرب نينا لحظة تكلم الرجل المريض تاركاً الطبيب يغادر الغرفة بمفرده.

«ماذا؟» تمتم جوناس: «تخلصت سريعاً من الموقف اللعين ذاك.»

بدا جوناس مرتاحاً لا غاضباً مما أثار حيرة ابنته بشكل كامل.

«أجل.» رد طوني وقد رسم ابتسامة بسيطة على وجهه: «لكن ليس بسبب محاولاتك أو محاولاتي في الاقناع يا جوناس. أنت ابنتك إلي لتتوسل لأجلك.»

«حقاً فعلت؟» قال والدهشة تظهر على وجهه العجوز وتابع:

«إنها فتاة جيدة.»

«وأنت عجوز أحمق.» عنفه طوني لاكتوس بلطف غريب

جعل نينا تنظر إليه بذهول وهو يتابع: «لم يكن من داعٍ للوصول بالأمور إلى هذا الحد.»

«كدت اخسر كل شيء.» رد جوناس بوهن: «كان عليك الوثوق بي قبل الآن يا جوناس. الآن تطورت الأمور كثيراً وعليك السماح لي بمعالجة كل شيء بطريقتي الخاصة.»

«كان عليَ تجربة ذلك وفقاً لطريقتي أنا أولا. كان من واجبي أن أحاول.»

«وأنا معجب باخلاصك لهذا العمل.» قال طوني فيما ذهول نينا يزداد مع كل كلمة ينطق بها كل منهما: «لكن أن يكون ذلك على حساب صحتك؟»

قال جوناس باندفاع: «على حساب أي شيء.»

«حتى على حساب شركتك أيها العجوز؟»

هذا لم يكن عدلا، فكرت نينا وهي تنظر فوراً إلى الرجل الواقف بجانبها لكن يبدو أن والدها تقبل سؤال طوني بهدوء ومنطقية مما زاد من عدم فهمها لما يدور حولها.

«أجل...» تمتم والدها بضعف: «حتى على حساب ذلك.» أغمض عينيه قليلاً بتأثير المهدىء الذي أعطاه اياه الطبيب لكنه قاوم الرغبة بالنوم متابعاً: «لكني أترك كل شيء بين يديك الآن... قم بكل ما تستطيعه حتى ولو كان الأسوأ.. أظنك سترغب بكل شيء الآن.»

«أريد شيئاً واحداً وأنت تعرفه.» قال اليوناني وهو يضع يده الدافئة على كتف نينا بما بدا محاولة لطمأنتها لكنها هزت كتفها بقوة لانزعاجها من تحدثهم عن شركة لوفل،

وكأنها كائن حي! تشنجت اليد السمراء واشتدت أصابعها على الكتف النحيل فعادت مشاعر نينا للتفجر واندفع الدم إلى وجهها فيما هي تنظر للاصابع القوية، أصابع الرجل الذي بات يسيطر على كل حياتهم الآن.»

«ماذا الآن؟» سأل جوناس مقاوماً تأثير المهدىء الذي اعطاه اياه الطبيب مارتن.

«استرح.» نصحه طوني، وتابع: «واترك كل شيء لي. ثم حين تشعر أنك أحسن حالا، سنتكلم.»

«حول شركتي؟» سأل الرجل العجوز بأمل.

أجاب طوني: «حول الكثير من الأمور. وليس أقله حول المتاعب التي سببتها لي هذه الليلة. يبدو أن ابنتك تعتقدني مجرماً أسود القلب يا جوناس.» تابع بجفاف.

«تعتقد ذلك حقاً...» سأل مبتسماً بوهن، وهذا مما خفف من ملامحه المرهقة: «لا بد أنها تخلط بينك وبين شخص آخر.» ثم ضحك فعلاً وكأنه ينطق بنكتة ناصحاً إياها: «اسمعي يا ابنتي، لا تثقي بأي رجل. فجميعهم قلوبهم سوداء الرجال والفتيان على حد سواء.»

«شكراً على هذا التصريح الذي يوحي بالثقة.» قال طوني ذلك بسخرية.

«لا تفكر بذلك.» قال جوناس وتلك الابتسامة الغريبة لا تزال على وجهه فيما غطّ بالنوم العميق.

«ليتني فهمت كلمة واحدة مما قال.» تنهدت نينا وهي تنهض.

ساعدتها يده على النهوض وسمعته يقول: «نعم، من نواحٍ عدة، أتمنى ذلك بدوري.»

نظرت نينا إليه مقطبة على هذا الرد الساحر الغامض ثم اومأت برأسها.

«مهما كان.» ردت والتعب يأخذ منها كل مأخذ: «شكراً لك على هذا.» ونظرت إلى والدها النائم باسترخاء للمرة الأولى منذ ان فاجأه المرض.

كانت ترتجف بشدة، مما جعله يربت على كتفها متمتما: «لم يحن الأوان لتشكريني بعد يا نينا لوفل. فلا فكرة لديك عن شروط مساعدتي لك.»

قادها الى خارج الغرفة وقربه منها يزعج حواسها مجدداً.

همست بصوت مرتعش فيما باب غرفة النوم يغلق خلفهما: «يبدو هذا بمثابة تهديد لي.»

أدارها طوني لاكتوس، مجبراً إياها على النظر إليه. كانت عيناه داكنتان وغامضتان لكنهما تلمعان بتلك النظرة التي طالما رأتها هناك.

«ذاك أكثر من تهديد ايتها الجميلة.» تمتم بصوت متهدج تخنقه العاطفة وهو يشدها إليه: «كان قسماً...»

عندما حاول جذبها نحوه، صاحت مبتعدة عنه: «لا، أرجوك، لا أستطيع تحمل المزيد.»

وافقها بتنهد: «لا أظنك قادرة على ذلك.»

كانت عيناه تحدقان بها بطريقة غريبة عندما تابع يقول: «لكن هذه لن تكون النهاية يا نينا لوفل... وكلما أسرعت بتقبل ذلك كلما كان هذا أفضل لنا جميعاً.»

حدقا ببعضهما البعض للحظة طويلة والحقيقة المرعبة لما كان يقوله، تجعلها في ذعر هائل.

«أين غرفتك؟» سألها بنفاد صبر.

أشارت نينا إلى غرفتها وهي أضعف من القدرة على النطق، لكنها انتفضت بشدة حين حملها وصاحت: «لا يا طوني، لا تستطيع.»

«بل أستطيع. وإن شئت لفعلت.»

«جيسون!» فكرت بشعور بالذنب. مجدداً نسيت كل شيء عنه.

أنزلها أرضاً وظل ممسكاً بها بما يكفي لتستعيد توازنها والآن قال بأمر: «ستستحمين وتستعيدين بعضاً من رشدك ثم تستبدلين هذه الملابس الرثة وبعدها سنتكلم. أنت وأنا سنتكلم.» ردد الكلمة متابعاً: «قبل أن ننزل لمعالجة مسألة خطيبك الغاضب معاً.»

«معاً؟» هتفت وهي لا تزال ترتجف من شدة غضبها لتجاوبها معه: «ماذا تقصد بكلمة معاً؟ لن نقوم بأي أمر معاً! أي شروحات يجب ان تقدم لجيسون، ستقدم له على انفراد!»

«منذ متى بدأت علاقتك به؟»

صاحت به بغضب: «وما علاقتك أنت بهذا؟»

تقلصت عيناه وهو يحذرها: «لا ترتكبي يا نينا حماقة في تحديك لي منذ متى؟»

«منذ... منذ خمسة أو ستة أشهر.» أجابت بخضوع كارهة نفسها لذلك.

ازدادت تقطيبته عمقاً عندما سألها: «وما كانت ردة فعل والدك حيال هذا الأمر؟»

تململت بانزعاج وقالت: «... إنه متحامل على

جيسون... كان والدي ووالد جيسون شريكين فيما مضى. لكنهما تشاجرا وهو لن ينسى ذلك أبداً.»

«لكنك لم تكلفي نفسك بمحاولة معرفة السبب؟»

لقد حاولت. لكن تلك كانت مرحلة سوداء وصعبة في حياة والدها، كانت حينها يافعة جداً ولا تلوم والدها الآن على عدم رغبته بتذكر تلك المرحلة. فهو كان قد فقد زوجته قبل أشهر قليلة بحادث سيارة مؤلم ثم خسر شريكه وأفضل صديق له في شجار مرير استمر سنوات طوال. دفن والدها حينها حزنه وخيبة أمله في عمله عازلا نفسه عن أي شيء آخر وحتى عنها إلى حد ما. أضحت شركة لوفل هي كل حياته، إلى ان وصل هذا الرجل المصمم على انتزاع سعادة حياته منه.

«تباً.» قال طوني فجأة: «لا عجب أن جوناس يكاد يجن.»

صاحت بحنق: «ومن المسؤول عن ذلك؟ أنت تشق طريقك بالخدع والاكاذيب إلى حياة والدي منذ اللحظة الأولى التي التقيته بها. بسببك أنت هو ملقى بالداخل الآن والقلق يتآكله ويكاد يودي بحياته بسبب صفقة ما تجبره أنت عليها ولا أحد ولا حتى والدي بإمكانه وضع اللوم على جيسون بهذا.»

عادت نظراته تشتبك بنظراتها، ولمحت في عينيه شيء داكن وشرير. شيء جعل نينا تتراجع قليلاً رغم عدم قيامه بأي خطوة نحوها.

نصحها قائلاً: «اذهبي واستحمي.»

دخلت الحمام الداخلي لغرفتها وأقفلته خلفها. حين

غادرته ثانية كان يجلس هو باسترخاء على الكنبة الواسعة المقابلة للنافذة. كانت أشعة الشمس تغمر كل شيء في الخارج الآن.

«أحتاج لاحضار بعض الملابس النظيفة.» تمتمت متلعثمة.

كان شعرها الرطب معقوصاً خلف ظهرها وقد أعادت المياه الساخنة بعض اللون إلى خديها بالرغم من غضبها من هذا الرجل الذي يهدد بتدمير حياتها.

رفع طوني لاكتوس رأسه ونظر إليها.

قال مبتسماً بخبث: «لربما عليّ استدعاء خطيبك إلى هنا الآن. وحينها لن يكون من داع لأي شرح.»

«يا لك من حقير!» قالت وهي تسير بحنق نحو الخزانة: «تظن أنه بإمكانك السيطرة على الناس كما تسيطر على شركاتك الضخمة. حسناً...» استدارت لتحدق به: «لست للبيع يا سيد لاكتوس. تذكر هذا فقط بوجود جيسون بالجوار لأنه بحال أردت الاختيار بينك وبينه فسأختار جيسون بالتأكيد.»

«إذن أنت لست للبيع؟» سأل بفضول وليس بغضب.

نظرت نينا اليه باحتقار قبل أن تعيد انتباهها لداخل خزانتها وقالت وهي تتناول بنطال أبيض: «أحب جيسون.» أعلنت بقوة وقالت لنفسها أنها كذلك فعلاً: «وفور تحسن حالة والدي الصحية لدرجة تسمح له بسماع هذه الأنباء، سأتزوج منه.»

«لن تفعلي.» قال طوني لاكتوس بتكاسل: «لأنك يا آنسة لوفل، ستتزوجينني أنا.»

اجفلت نينا وسقط القميص الحريري الأخضر والابيض من بين يديها غير مصدقة ما سمعته اذناها.

سألت بدهشة: «ماذا قلت؟»

«سمعت ما قلت.» أجابها وعيناه ترمقانها ببرود: «عرفت مدى شدة رغبتي بك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك بها، لذا لما تظهرين كل هذه الدهشة؟»

لأن الرغبة والزواج أمران مختلفان كلياً. هذا ما قالته نينا بينها وبين نفسها، ثم انحنت وتناولت القميص عن الأرض وسارت متظاهرة بالهدوء إلى الدرج الأعلى في الخزانة.

«وأنت سمعت ما قلت.» ردت بعدم اكتراث مصطنع: «شكراً لك، لكن لا، جيسون هو الرجل الذي أحب وهو الرجل الذي سأتزوج منه.»

«اجلسي يا نينا فأنت ترتجفين.»

كان هذا كل ما قاله، فاستدارت نحوه بغيظ متفجر.

«هلا خرجت من هنا وتركتني وشأني؟»

قال محدقاً بها بهدوء: «لا.»

ما الذي تريده مني؟» صرخت فجأة وقد نال منها الغضب: «تريد اعتذاراً؟ أهذا ما تريد؟ تريد اعتذاراً عن طريقة تسللي إلى منزلك واهانتك؟»

ذكرها بتكاسل: «لا تنسي طريقة جذبك لي.»

«أنا لم أحاول اجتذابك.» قالت باحباط ورأت المرح في أعماق عينيه فأدركت أنها التقطت الطعم الذي رماه: «توقف عن هذا العبث.»

«إذن توقفي عن محاولة إقناعي بأنك تحبين ذاك الشاب

الأحمق في الأسفل.» رد بعنف وقد فارقه كل المرح: «لا يعقل هذا، انه يكبرك بسنة فقط.»

صححت له: «بل بثلاث سنوات.»

«يبدو أصغر سناً من ذلك.» قال واضعاً يديه في جيبي بنطاله.

«وكم عمرك أنت؟» سألته بالنبرة ذاتها: «ثلاثون؟»

«بل اربعة وثلاثون.» قال مبتسماً وهو يفكر بفرق السنوات الأربعة العشر بينه وبين نينا.

«وتظن أن هذا سيجعلك مقبولاً بنظري أكثر من جيسون؟ لا أعرف سواء أيجعلك ذلك سارق مهد أم مجرد رجل متقدم بالسن.»

«انتبهي.» حذرها مقاطعاً وأدركت مجدداً أنها تخطت حدودها باثارة حنق هذا الرجل المرعب: «سأخبرك هذا فقط يا نينا لوفل. قد ابدو متقدماً بالسن بالنسبة لك لكن حاولي ان تقاربي بيني وبين خطيبك الغالي ولنرى ماذا ستكون النتيجة! إنه ليس رجلاً مناسباً ليرضى امرأة مثلك. انك ستخيفين جيسون الحبيب المسكين.»

«يا لك من شديد القسوة.» قالت وهي تدير له ظهرها كي تخفي اقتناعها المرعب بحقيقة ما كان يقوله. ولم تشعر يوماً برغبة جامحة تجاه جيسون كما تشعر نحو الرجل.

قال: «من القسوة. ان تحكمي على نفسك وعليه بهذه العلاقة العميقة التي تثير الشفقة. أتظنين أنك ستكونين سعيدة معه؟ أتظنينه سيكون سعيداً؟»

هو لن يعرف. قالت نينا في نفسها، ثم عنفت نفسها بشدة لما توشك أن تعترف به بصمت.

قالت: «تباً لك، أنا أكرهك.»

«لا بأس فالكره عاطفة جياشة أفضل من عاطفة الحب الاخوي الذي تشعرين به نحوه. سأعدك بهذا يا نينا لوفل...»

أدارها كي تواجهه فيما الغضب يشتعل في عينيه حين قال: «تزوجيني وستجدين مني كل ما يرضيك.»

«توقف.» همست وقد بدأت ترتعش. فيما تلاحقت انفاسها لما يعتمر بداخلها من جراء نظراته.

«ستتزوجيني. لأجلك أنت! لكن إن لم تستطيعي اقناع نفسك بحقيقة ما اقوله، فستتزوجيني حينها لأجل والدك لأن هذا هو سبيله الوحيد للاحتفاظ بشركته.»

«لا.» صرخت وحاولت الابتعاد عنه.

«بلى.» همس وقد امسك وجهها بيده يجبرها على رفع نظرها إليه.

تابع يحثها: «تزوجيني يا نينا وأعدك أنه لا أنت ولا والدك ستعانيان من أي متاعب على يدي.»

«أرجوك... لا تفعل هذا بي.»

«تزوجيني وسأتغاضى عن كل المبلغ الذي يدين لي به والدك، كل قرش.»

«انه يدين لك بالمال؟» سألته وقد انتشلها ما قاله من الغمام حيث كانت ورمى بها على الأرض.

«كنت تجهلين ذلك؟» قال وشتم بصوت خافت وكأنه غضب من نفسه لتفوهه بذلك: «بالطبع هو يدين لي بالمال. يدين لي بمبلغ يفوق بمراحل ما تساويه شركته بأكملها. مبلغ يفوق كل رقم تتصورينه.»

«ماذا؟» شهقت وقد وضعها ما قاله في خضم كابوس جديد.

أمسكت يداه القويتان بكتفيها مجدداً: «اقترض مني مبلغاً ضخماً قبل عدة أشهر كي يدفع ديونا كبيرة كانت عليه ومقابل المبلغ رهن شركة لوفل بأكملها. كان يفترض به رد المبلغ لي بغضون ثلاثة أشهر لكن لم تتسنَ له الفرصة اطلاقاً لرد المبلغ، فيما...»

قاطعته: «إذن لماذا أقرضته المال. ما دمت مدركاً لعدم تمكنه من رده؟»

لم يجب وأبقى شفاهه مطبقة وكأنه قد تفوه بالكثير حتى الآن.

تقلصت عيناها وقالت مبتعدة عنه: «إلا بحال كنت فعلت ذلك لهذا السبب بالذات. لأنك عرفت استحالة إعادته المال لك وحينها ستكون الشركة لك.»

«أظنني أخبرتك للتو أن المبلغ المقصود يساوي أضعاف ما تساويه شركة لوفل.»

«إذن ما السبب الذي دفعك لرمي مالك بهذه الطريقة؟»

«تعرفين الجواب لهذا السؤال يا نينا.» قال وعيناه تنظران في عينيها للحظات قاتلة قبل أن يتابع بصوت ابح: «السبب هو أنت.»

«لا...» قالت وهي ترتعش بشدة وتدير ظهرها له: «أنت تخيفني.»

«أنا أخيف نفسي صدقيني. لم أرد امرأة في حياتي كلها بالقدر الذي اردتك به. وإن اعتقدت أن هذا يعجبني أكثر مما يعجبك ففكري مجدداً! لكن على الأقل اعترفي بأن هذا

الشعور متبادل بيننا حتى ولو لم تستطيعي النطق بالكلمات بصوت مسموع.»

أدارها حينها ولمح الذعر الظاهر بوضوح في عينيها.

في تلك اللحظات فتح الباب فجأة بعد طرق خفيف، لم يسمعه أي منهما، وسار جيسون الغاضب نحوهما.

الفصل الرابع

«هل أنت معتاد على اقتحام غرف نوم الآخرين دون دعوة هكذا؟» سأل طوني بهدوء وقد استرجع رباطة جأشه بسرعة قبل نينا التي اكتفت فقط بالابتعاد عنه قليلاً وتسمرت مكانها خلف طوني غير قادرة على الحركة.

سأل جيسون بحدة: «منذ متى وهذا يحدث؟»

«منذ وقت كاف.» كان رد طوني فيما رفع ذقن نينا ونظر في عينيها اللتين بدأتا تلمعان بدموع الخجل.

«لا بأس.» همس لها برقة.

«تباً! الن تتركها وشأنها؟» صاح جيسون باشمئزاز: «انها تضع خاتمي أنا.»

قال طوني بهدوء: «وهذا شيء مدروس اقنعتها به باللحظة المناسبة كما اظن.»

«ماذا تعني بقولك هذا؟» سأله جيسون.

«اظنك تعرف ما أعني.» قال طوني رامياً جيسون بنظرة حادة ومتابعاً: «من الأفضل لك اغلاق الباب ان رغبت بعدم سماع احد لهذا الحديث.»

اغلق الباب بعنف وتأوهت نينا وهي تكافح لجمع شتات نفسها، تركها طوني تبتعد مراقباً إياها وهي تأخذ نفساً عميقاً قبل ان تواجه خطيبها.

كان وجه جيسون شاحباً كلون شعره الأشقر وعيناه

جاحظتان من صدمة ما رأى. كان يحدق بطوني لاكتوس وكان هذا الأخير قد رماه بسكين.

نظر إليها متهماً وقال: «انتما حبيبان، لا؟»

امتنعت نينا من ذرف الدموع وبدأت تقول: «أنا...»

أجاب الرجل عنها: «اجل نحن حبيبان.»

«لم اكن اخاطبك.» قال جيسون بحنق وعيناه تلمعان بكره تفهمته نينا جيداً.

حدقت به دون التفوه بحرف، ماذا بإمكانها ان تقول؟

كان قلبها يعتصر لأجله، لأجلها، لأجل الفوضى التي وضعت الجميع فيها هذه الليلة، لكن الحقيقة المريرة وسط كل هذا كانت انها وطوني اصبحا حبيبين هذه الليلة لدرجة ما، لربما ليس بالطريقة التي يعتقدها جيسون، اخفضت رأسها ولم تقل شيئاً.

«كان عليّ استنتاج هذا.» قال وقد تحولت صدمته إلى مرارة واحتقار: «حين ذكرت لي اسم اليوناني الخبيث لأول مرة كان عليّ الاستنتاج ان والدك يخطط لأمر ما... كان عليّ تذكر حقيقة ان التاريخ يعيد نفسه دوماً! فلطالما كنتم يا آل لوفل قبلة الموت لعائلتي.»

توسلته بألم: «لا، ارجوك يا جيسون، لقد اخطأت الفهم، لا علاقة لوالدي بهذا و...»

«بل هذا من عمله هو بالتأكيد.» قاطعها بجفاف وعيناه تنضحان بالازدراء: «انه يكرهني لدرجة كافية لفعل اي شيء للحؤول دون زواجي بك! لقد أوقع العجوز بك في الفخ وانت غبية كفاية لعدم معرفة ذلك.»

غمر الشعور بالذنب نينا، وادركت ان له كل الحق بشعوره

هذا نحو آل لوفل، فالتاريخ كان يعيد نفسه بطريقة ما. فقبل عشر سنوات حين حصل الشجار بين جوناس لوفل ومايكل هانتر والد جيسون خسر والد جيسون كل شيء لجوناس الداهية واصبحت شركة لوفل هانتر شركة لوفل، فقط، ولم ينجح هانتر بالتجارة بعد ذلك، وحسب اقوال جيسون، فقد مات والده قبل سنة بسبب تعاسته وفشله.

«آسفة، لرفض والدي لك يا جيسون.» همست بصوت مرتجف. كانت تشعر بالخجل لعدم نسيان والدها الماضي ابداً رغم ان جيسون كان مستعداً لنسيان كل شيء لأجل نينا.

رفعت عينين متألمتين اليه وتابعت: «لكن لا علاقة لوالدي بهذا... هذا خطأي انا.»

«انت محقة تماماً، فأنت المخطئة بهذا.» رد بصوت جريح الكبرياء فيما نظراته تزيدها من شعورها بالذنب. «فلولا تصرفك الأحمق لكنا حصلنا على كل شيء. كل شيء.»

«والآن ستغادر المكان دون الحصول على شيء.» قال طوني لاكتوس ذلك بصوت بارد بالغ القسوة مما جعل نينا تشهق بدهشة.

قالت وهي تستدير نحوه رافعة نحو جبينها يداً مرتجفة: «لماذا تفعل هذا؟»

قال جيسون: «اجل يا سيد لاكتوس، لماذا تفعل هذا؟»

كان هذا تحدياً، تحدياً بالغ الجدية لدرجة ان الصمت طغى على انحاء الغرفة. وقف طوني إلى جانبها، فحبست انفاسها مدركة ان شيئاً مدمراً ظهر للعيان رغم جهلها التام لماهية هذا الشيء، لكنها كانت متأكدة ان التهديد كان معلقاً في الهواء بينهم.

تحرك بعد ذلك طوني نحوها وقال ببرود: «جاءت نينا

إليّ طلبا للمساعدة، وبعكس جوناس انا لا اشارك احداً باي شيء. لا اشارك احداً، أتفهم؟»

«وتتوقع مني تقبل هذا بكل بساطة والرحيل؟» ساله جيسون وحاجبه يرتفع بتحد، بدا وكأن الغضب تبخر فجأة لتحل محله البرودة الشديدة، شعرت نينا بالدهشة وكأنها تنظر إلى شخص غريب عنها، وبأنها لم تعد محور الحديث اطلاقاً.

اضاف بهدوء: «انها تضع خاتمي، اتتذكر؟ لا بد ان لهذا معنى ما؟»

رد طوني: «اجل، الخاتم.»

سحب من اصبعها الخاتم بلطف فيما دموعها تنساب بصمت على وجهها. قلّب طوني الخاتم بين يديه للحظات ثم سأل: «وكم تضع ثمناً لقلبك المكسور يا هانتر؟»

اعطى طوني رقماً ما جعل نينا تصرخ بذعر.

اجاب جيسون: «ضعف ذلك المبلغ قد يفي بالغرض.»

«جيسون!» نادت بإسمه وهي تشعر بالقرف من هذا الوضع.

قال طوني: «لك ذلك.» ورمى له الخاتم.

ابتسم جيسون ناظراً إلى نينا باحتقار ثم سألها: «ما هو شعورك بأن تباعي بسعر سيارة رولز رايس؟»

ارتعشت بشدة، لقد فعل هذا كي ينتقم منها، قبل بعرض طوني لإدراكه ان هذا سيؤلمها اكثر من اي شيء آخر.

«هاك...» ورفعت نظرها لترى الخاتم يطير بالهواء نحوها فالتقطته بحركة تلقائية.

«احتفظي به للذكرى.» تابع وهو يفتح باب الغرفة. «فلا رغبة لي به بعد اليوم، بمقدار عدم رغبتي بك.»

التفت رامياً اياهما بنظرة مزدرية متابعاً: «لم أرغب يوماً بالبضائع المستعملة، لا تنس المال يا لاكتوس، فأنا بطبيعتي لست رجلاً صبوراً.»

ثم غادر الغرفة وخرج من منزل نينا ومن حياتها تاركاً الجو مشحوناً بالتوتر خلفه.

جلست نينا على حافة السرير باعياء ثم همست بصوت مخنوق: «لن اسامحك على هذا أبداً.»

انها تعرف جيسون، فكل ذلك الاحتقار غير المبالي كان مجرد قناع يخفي به ألمه، انه نفس القناع الذي أخفى خلفه عدائية والدها نحوه وكرهه له، ذات القناع الذي أظهره حين اخبرها عن التعاسة التي عانى منها اثناء طفولته بسبب تدهور اوضاع والده بعد انفصاله عن والدها، والآن استعمله كي يخفي مشاعره المتألمة وكبرياءه الجريح.

«ألا يكفيك تدمير والدي لتدمير سعادتي أيضاً؟»

ادار طوني لها ظهره قائلاً بصراحة: «لا انكر انني وعدتك بالسعادة يا نينا.»

صاحت بألم: «لم اكن اقصد سعادتي معك.»

«اتعتقدين حقاً انك كنت ستسعدين مع ذلك الماكر؟»

اذا كانت تعتقد ان نبرتها كانت محتقرة، فنبرته هو تعدتها بمراحل. لكنها اجابته: «كان بحاجة ليغادر بكبرياء.» حدقت بالخاتم الماسي في راحة يدها، الذي ذكرها بخداعها، وتابعت: «السبيل الوحيد له لفعل ذلك كان في ان يجعلني ابدو اقل اهمية عنده من المبلغ الذي عرضته عليه، تبّاً لكم يا معشر الرجال ولكبريائكم.» تنهدت متذكرة والدها واستعداده للموت لأجل كبريائه الغالي: «انتم

تعيشون وتموتون به، لكن ماذا عن كبريائي أنا؟ ماذا عن احترامي لذاتي؟ لا اظنني سأشعر بهما مرة أخرى.»

«وانت تضيعين اللوم علي بهذا أيضاً، انت من لجأ إلي طلباً للمساعدة يا نينا.»

«كان عليَ الذهاب مباشرة إلى جيسون.» قالت وعيناها تحدقان بخاتم الألماس.

«لربما كان عليك ان تفعلي ذلك.» وافقها وقد بدا فجأة متعباً من كل المسألة: «لكنك لم تفعلي، والآن عليك ان تدفعي ثمن غلطتك.»

امسك بيديها بصورة مفاجئة وجعلها تنهض عن السرير، كانت عيناه تبرقان بشدة فيما انتزع الخاتم من راحتها ووضعه في جيبه.

قال بخشونة: «إنسي هانتر وخاتمه اللعين، انت ملكي انا الآن.»

كانت دموعها تغسل وجهها عندما تابع يقول: «ثمن مثير اليس كذلك يا جميلتي؟» ضاقت عيناه بنظرة ذات معنى متابعاً: «ثمن كما اظن انت اكثر من راغبة بدفعه.» افلت يداها فعادت تجلس على السرير ورأسها منخفضاً شاعرة بالهزيمة.

«اريد وعدك الصريح بإعلامي فور محاولة هانتر الاتصال بك بأي طريقة.» قال طوني لاكتوس فجأة جاعلاً رأسها يرتفع اليه مجدداً.

سألته بذهول: «لكن لماذا؟ هو لن يفعل ذلك أبداً، ليس بعد ما فعلته به، فهو سيفضل رؤيتي ميتة على ان يكلمني ثانية.»

أصرّ بقوله: «رغم ذلك، اريد منك ذاك الوعد.»

حدقت نينا بوجهه الداكن للحظة ثم هزت رأسها قائلة:

«حسناً، لك وعدي مهما كانت فائدتك من ذلك، لكنني اؤكد لك انني لن اسمع صوت جيسون ثانية أبداً.»

«آمل بصدق ان تكوني محقة.» تمتم بغموض: «بل أفضل ان تكوني محقة لأجلك يا نينا ولأجله أيضاً...»

• • •

وصلت الرسالة الأولى بعد ثلاثة أيام فقط لتثبت خطأها وصوابية طوني لاكتوس، كتب لها جيسون بكل الألم والعاطفة التي يشعر بها الآن واكدت كلماته ما اعتقدته عنه.

لقد جاء في رسالته: مزقت الشيك الذي اعطاني إياه لاكتوس، قبلت رشوته فقط لعلمي ان هذا سيؤلمك، لكن كل اموال العالم لن تعوض الخسارة التي اشعر بها الآن. احببتك ولازلت احبك مهما اخبرني ما شاهدته بأم عيني، فأنا لا اعتقد ابداً انك تعمدت ايذائي وايلامي بتلك الطريقة. لا بد ان هذا سيناريو متفق عليه كي يبعدونا عن بعضنا، لطالما كرهني والدك، كرهني لدرجة تؤكد عدم امكانيتي في ان اصبح فرداً من عائلتكم. ايمكنك ملاقاتي يا حبيبتي؟ كي نتحدث؟ اتصلي بي، احتاج لرؤيتك احتاج لبعض الشرح....

جلست نينا خلف مكتب والدها والرسالة بين اصابعها وهي تشعر بالتمزق بين رغبتها بالذهاب للقاء جيسون وشرح ملابسات ما حدث وبين معرفتها الاكيدة ان الشرح لن يغير في الوضع شيئاً، كانت أسيرة وهي تعرف ذلك.

لقد اوقعت نفسها في الفخ بسبب طيشها وغبائها وقلقها على والدها، واجبرت نفسها على الاعتراف بضعف شخصيتها، فلقد استطاع طوني لاكتوس ان ينسيها جيسون وان يقصيه من حياتها.

نهضت ورمت الرسالة في سلة المهملات والدموع تغشي بصرها.

مر اسبوع قبل ان يتعافى جوناس بدرجة كافية تسمح له بسماع الحديث الذي وعد به طوني، وبعد اسبوع أيضاً اخذ عذاب نينا يزداد اكثر من الرسائل التي كانت تصلها يومياً من جيسون، وفي إحدى الرسائل طرح عليها السؤال الذي يعرف رده.

هل سألت نفسك مرة لِمَ لاكتوس مستعداً للمساهمة في مؤامرة تفريقنا عن بعض؟ تمتلك شركة لوفل ممتلكات مهمة جداً في وسط لندن، ممتلكات تجعل لعاب أي رجل اعمال يسيل. اسألي والدك ان كنت لا تصدقيني، تعاني شركة لوفل من نقص في السيولة حالياً لكنه نقص سيتمكن والدك من معالجته فور استعادته لصحته، والسؤال هنا، من الذي سيكسب ان لم يتم معالجة النقص ولم يتعافى والدك قريباً؟ انا قلق بل شديد القلق يا نينا من اعتقادي ان لاكتوس يتلاعب بك لأجل وضع يده على شركة لوفل. يجب ان نلتقي ثانية لمناقشة شكوكي في هذا الأمر.

ايعقل ان يكون طوني لاكتوس كاذباً بشأن قوله ان المبلغ الذي اعطاه لوالدها يساوي اضعاف شركة لوفل قيمة؟

انضمت الرسالة إلى سابقاتها في سلة المهملات، لكن نينا امتلأت بالشكوك الآن. لقد تأكد لها شكوك جيسون عندما اصبح طوني بارداً ومتباعداً لدرجة انها كانت ترتعش لمجرد دخوله الغرفة التي تتواجد فيها. فالرجل الذي اظهر لها عمق المشاعر، لم يعد ينظر اليها منذ ان اعلن ما اعلنه.

كان يزورها يومياً يسأل عن والدها وعن احوالها بأدب جم كأي شخص غريب، ثم يدخل مكتب والدها لمراجعة

أمور شركة لوفل قبل ان يغادر ثانية تاركاً إياها تتساءل عما اذا ما كان ما شعرا به سابقاً قد ذوى؟

مع انقضاء اسبوع تقريباً تأكد لدى نينا كل الشعور بالامتعاض الذي تحسه حيال طوني لاكتوس، لكن ذلك كان يرافقه شعور بالامتنان للتغيير الذي كانت تحدثه زياراته لوالدها. فجوناس كان يناضل الآن لاستعادة عافيته كاملة بدل الاستسلام للموت، فعادت شعلة الحياة لتبرق داخل عينيه بينما كان بالسابق، دائم التوتر والاضطراب فأضحى الآن قانعا وراضياً. كانت نينا ممتعضة رغماً عنها لأنه لم يرد التحسن من اجلها هي بل لمجرد الأمل بتخطي شركة لوفل للمصاعب.

«يعتقد الطبيب انه بإمكاني محادثة والدك اليوم.» هذا ما قاله لها طوني ببرود في احد الأيام فور وصوله، وقد بدا كرجل الأعمال الواثق الصارم ببذلته الكحلية وقميصه الأزرق الفاتح.

توسلت بعفوية: «هل تغيّر رأيك؟»

كانا يقفان في البهو، هو بقامته الطويلة وهي بجسمها الرشيق وقد بدا ناضجاً بكل سنوات عمره الأربع والثلاثين فيما بدت هي يافعة وغير قادرة على التعامل مع هذا الرجل الذي سيطر على حياتها.

سألها بهدوء: «بأي شأن بالضبط؟»

تركزت نظرته الباردة على وجهها وشعرت وكأن العينين الداكنتين تلاطفانها بحنان، ارتعشت قليلاً وهي تضع يدها في جيب فستانها القطني الأبيض الناعم.

أجابت بتلعثم: «حول... حول زواجك مني، أنت وأنا... غير معجبين ببعضنا منذ الأساس.» بدت يائسة وهي ترى بعض اللين في ملامحه.

«الاعجاب غير ضروري بالنسبة لما نشعر به حيا
بعضنا البعض.»

اقترحت عليه متأملة: «ما نشعر به لا اساس له! ا
تستطيع... اعطاء والدي مهلة اطول كي يرد لك مالك ثم تتر
الأمور عند ذلك الحد؟»

«لكنك نسيت.» قال وقد بدا مذهولاً بترددها: «ليس شر
لوفل، هي ما أريد.» تحدتها نظرته وهو يتابع: «بل أريد
انت.» وحين لم يتلق رداً منها تابع: «ولأجلك انت اعارض ك
تعقل ومنطق واسمح لوالدك بإلقاء كل مشاكله ومتاعبه عل
كاهلي.»

«ساكرهك حتى يوم مماتي ان جعلتني اجاريك بهذا.»

«إذن اكرهيني.» قال فجأة فاقداً كل البرود وجانباً إياد
اليه: «لكنك ستتزوجيني، والا فلن يحصل والدك على ا
شيء اطلاقاً.»

ثم تحدّاها قائلاً: «انكري هذا القول، أنت تريديني ب
ذرة في كيانك.»

همست بتعاسة: «أنا أخاف منك.»

قال وهو يربت على شعرها: «أعرف لكنك على ما ا
تخافين من نفسك اكثر.»

سرح بنظره قليلاً على وجهها المتعب ثم تنهد بر
وابتعد عنها.

«لم لا تسهلين الأمر على نفسك فتتظاهرين بحبك لي؟
يدري.» ثم تابع بجفاف: «ان حاولت ذلك بجهد كاف، ت
تتمكنين من اقناعي بذلك! هناك طاقة هائلة في حب المر
للرجل يا نينا، طاقة قد تحصل بها على كل ما تحلم به

«باستثناء الرجل الذي تحب حقاً.»

«لا تبدأي ذلك من جديد.» قال مبتعداً باتجاه السلالم وقد بدا متعباً، ثم تابع: «فقط تذكري حين ترين والدك في المرة المقبلة، ان تقنعيه بأننا خلقنا لبعضنا البعض.»

«طوني؟» نادته بتردد لدى وصوله إلى أعلى درجات السلم، توقف واستدار ببطء ليواجهها، حدقت نينا به بينما الاحتقار والاعجاب معاً يلتمعان داخل عينيها الجميلتين: «اريد ان اعرف.. كم سيدوم هذا الحكم الذي ستصدره عليّ؟»

تقلصت عيناه وبدا فجأة كيوناني متعجرف. «اشرحي.» عاد ليكون رجل الاعمال الصارم المقتصد بكلامه والعدائي.

ازدردت نينا ريقها بصعوبة وبدأت: «ان وافقت على الزواج منك...»

«سبق ووافقت.»

اجبرت نفسها على اتمام ما ارادت قوله له منذ اسبوع. «يجب ان تعرف ان الاطباء حذروني من ان والدي لن...» لم تستطع نطق الكلمة فتابعت: «يوم رحيله... هو اليوم الذي سيحلني من أي ارتباط بك.»

لم يعلق بشيء للحظات طويلة، وازداد التوتر في المكان، فيما عيناه تحدقان بها وتمعنان في وجهها الشاحب.

كانت تعرف ان لا قوة مساومة لديها الآن، فقد تخلت عن كل ذلك ليلة توسلته المساعدة. طوني لاكيتوس يريدها وهي مجرد النظر اليه يجعلها مستسلمة.

قال اخيراً: «حسناً... عندما يحين الوقت، إن كنت لا تزالين راغبة بإنهاء زواجنا فأنا لن اعارض.»

همست: «شكراً لك.»

ابتسم بسخرية وقال: «لا تشكريني يا نينا، فبعد كل شيء لعل هذا الشرط هو ما أريده أنا أيضاً. لربما حتى ذلك الحين سأكون قد مللت منك...»

حدّق بعينيها اللحظة أخرى فارتعشت بشدة، لقد فاز بهذه الجولة تماماً كما فاز بكل الجولات السابقة معها، انه يريدها وسيتزوج منها ليس بدافع الحب الذي هو الأساس القويم لأي زواج. لقد طلبت منه الآن ما يريده بالضبط طريقة للتخلص منها فور ملله منها.

راقبت ابتعاده شاعرة بالاضطراب ثم ارتعشت بشدة، كان شيئاً في داخلها يحذرها. بدأ يتشكل بأعماقها.

لا! انكرت بشدة ذلك التحذير واستدارت مبعدة نظرها عن القامة الطويلة التي تسير برشاقة وكبرياء. لا! انها تحب فعلاً ومنذ فترة طويلة.

لم تستطع إبعاده عن افكارها منذ اللحظة الأولى التي رأته يحدّق بها بذلك العمق. تحاشته منذ تلك اللحظة دون أن تعرف السبب لكن من المؤكد انها لم تكن تجرؤ على السماح له بالاقتراب منها. وها هي تتساءل الآن عما إذا كانت غرائزها تحذرها منه منذ اللحظة الأولى، لاحساسها انه قد يشكل تهديداً لوجودها.

كان طوني لاكتوس رجلاً بعاطفه جياشة. لقد سبق لها وشاهدته مع أربع نساء مختلفات في مناسبات مختلفة كانت كل امرأة منهن متعلقة به وكأنهما حبيبان عاشقان ادركت حينها ان لا فرصة امامها اطلاقاً للمنافسة، لكن كان لديها دوماً جيسون المحب الهادىء الذي لم يشكل أي تهديد على عواطفها.

اعتصر قلبها بألم حالما توصلت إلى هذا الاستنتاج، فلكم كانت غبية بمزجها ما بين مشاعر الصداقة والحب في علاقتها مع جيسون. لجيسون الحق بكرهها واحتقارها، ولم تفهم ابداً لماذا لم يفعل. فهي تكره وتحتقر نفسها وطوني لاكتوس أيضاً لأنه اجبرها على اكتشاف ما بداخلها. ولم تستطع دخول غرفة والدها الا بعد ساعات وقد رسم القلق والتوتر دوائره السوداء حول عينيها المتعبتين.

كان جوناس يجلس بارتياح في سريره، فيما طوني جالساً على الكنبة التي قضت الليالي الطوال ساهرة عليها قرب سرير والدها اثناء مرضه.

ابتسم والدها حالما رآها وقال: «اذاً، عدت إلى رشدك بالنسبة لهانتر أخيراً، انتما غير مناسبين لبعضكما البعض اصلاً.»

سواء كانا مناسبين لبعضهما البعض أم لا، فهي وجيسون كانا سيعيشان بسعادة، فهما يتشاركان الرأي فيما يحبان ويكرهان. وقد تم لقاؤهما بمحض الصدفة حين انضم جيسون لنفس الفرقة الموسيقية التعليمية التي تدرس هي معها، وتفاجأت لمعرفتها انه جيسون هانتر ذاته الذي لم تره منذ كانا طفلين صغيرين. وتفاهما معاً منذ البداية ولم تمنع المرارة الموجودة منذ سنوات بين والديهما من رغبتهما بالتقابل ثانية. وحده طوني لاكتوس استطاع تفريقهما. رمت طوني بنظرة ازدراء عبر الغرفة. ما الذي تتشارك مع هذا الأخير باستثناء رغبة عابرة لن تلبث ان تزول؟

رأى نظرتها وارتفع حاجبه قبل ان يرفع يده بعجرفـ
طالباً منها المجيء اليه. صرت على اسنانها وسارت نحو
باذعان، شاعرة بارتباك عارم حين امسك بيدها قائلاً: «لقد
منحنا والدك مباركته يا حبيبتي.» ثم شدّ على يدها محذراً
اياها كي تبتسم لما قاله.

ابتسمت عنوة، ونقلت نظرها بين الرجلين اللذين
وجدتهما هما ايضاً يتبادلان النظرات، الأمر الذي اشعرها
بالحيرة. ايمكن ان يكون جيسون محقاً؟ تساءلت بشك. هل
تآمر مع والدها للوصول لهذه النتيجة منذ البداية؟ تذكرت كم
كان يغضب كلما صدت محاولات طوني عندما يحاول التقرب
منها. لكنها سرعان ما صرفت هذه الفكرة عن ذهنها. فحتى
والدها لن يستطيع التظاهر بالإصابة بالنوبة القلبية
لإجبارها على الموافقة على أي كان.

«ستكونان زوجين رائعين.» ردد جوناس وابتسامته
تتسع اكثر فأكثر: «لا أطيق صبراً لرؤية الاحفاد الذين
ستمنحوني اياهم! سيكونون مزيجاً ممتعاً منكما معاً كما
اظن.»

أجاب طوني: «اظن ان استطعت ان تكون صبوراً يا
جوناس فنحن سننتظر بعض الوقت قبل انجاب الاطفال.
أمام نينا متسعاً من الوقت قبل ان تلعب دور الوالدة. دعها
تعتاد على دور الزوجة أولاً ثم...»

قاطعه جوناس باندفاع: «هراء كلما كانت اصغر سناً
كلما كان افضل! هذا هو شعاري! كانت والدة نينا اكبر منها
بسنة أو اثنتين حين انجبتها!»

انها ميتة الآن. فكرت نينا بحزن، بعد ان قضت معظم

سنوات حياتها تحاول إرضاء رجل لم يكن يخفي ان حبه
الأول والأكبر هو شركته.

نهضت ومشاعرها في دوامة. هل مصيرها ان تكون
كوالدتها؟ مرتبطة بزواج دون حب مع رجل لا يقدم لها شيئاً من
السعادة؟ اما دور الأطفال فلن يكون سوى ربطها اكثر إلى هذا
النوع من التعاسة؟ في النهاية لم تعد والدتها قادرة على تحمل
تعاستها فحزمت حقائبها ورحلت تاركة زوجها وطفلتها.

«آسفة.» كان كل ما كتبته في الملاحظة التي تركتها
خلفها. تلك هي الكلمة الوحيدة، ولا حتى كلمة حب لنينا،
ولسخرية الأمر، ماتت والدتها ليس انتحاراً بل على يد سائق
سيارة انزلق بسيارته على الطرقات المبللة بمياه الأمطار.

لكن شيئاً ما تحرك بداخلها لفكرة انجاب طفل طوني،
تحرك طبيعي لشعور الأمومة... أو ربما شيء اكثر من ذلك.

ابتعدت عن الرجلين وهي تشعر بنظراتهما تتركز عليها،
نظرات والدها المتفاجأة ونظرات طوني المتسلطة.

عاد طوني ليقول بهدوء: «كما قلت، امامنا متسع من
الوقت لاتخاذ مثل هذه القرارات.»

«لكن يا طوني كنت وإياك على وشك...»

«آن وقت رحيلي.» قاطع طوني الرجل العجوز فجأة
وعيناه مركزتان على نينا، ثم نادى عليها: «نينا؟» كانت
تقف امام المدفأة تحدق بلوحة تحمل صورة والدتها وقد
علقت فوقها. كانت تبتسم بسعادة في سنوات زواجها
الأولى. فكرت نينا، لن أهجر أبداً طفلاً لي! ابداً!

«نينا...؟»

جعلها الصوت القوي النبرات تستدير ببطء لتواجهه.

كانت يده ممدودة اليها تدعوها، ووجدت نفسها تحدق بيده، الأمر الذي جعلها تشعر وكأنها معزولة عن العالم، ظلت اليد ممتدة تنتظر.

كأنها في حلم سارت نحوه تشدها قوة اكبر منها. مدت يدها اليه فأطبقت اصابعه على اصابعها بدفء عجيب بعث فيها نبض الحياة، اخذت نفساً عميقاً وهي تنتظر بقلق إلى تقطيب حاجبي طوني. ودّع والدها على نحو مختصر ثم سحبها معه إلى خارج الغرفة ويده تشد على يدها بينما كانا ينزلان السلالم ويغادران الباب الرئيسي.

أعمت أشعة الشمس عينيها لبرهة وتأوهت.

كانت سيارته تقف عند باب المدخل. ادخلها إلى السيارة ثم استدار ليجلس خلف مقود القيادة وينطلق دون ان يطرح عليها مجرد سؤال ان كانت تريد مرافقته أم لا.

الفصل الخامس

«متى غادرت المنزل لآخر مرة؟» سألها طوني ناظراً إليها بعبوس قبل ان يعود ويركز نظره على الطريق امامه فيما يداه تحركان المقود بخفة.

«لا انكر.» ردت بغموض وهي تنظر من النافذة للخارج، انها ما زالت تشعر بالغرابة والتعاسة التي تمنعها حتى من الرغبة في الكلام.

«هل غادرت المنزل ولو مرة واحدة منذ أتيت بك اليه قبل اسبوع؟»

فكرت بالأمر، ثم اومأت برأسها نافية. لا، هي لم تغادره منذ ذلك الحين. كانت كثيرة الانشغال بفوضى حياتها الحالية فلم تستطع ان تفعل شيئاً سوى الاسترسال بالتفكير والتأمل، حتى انها كتبت رسالة رد لجيسون تشرح له فيها ملابسات ما حدث، لكنها لم ترسلها له بالبريد، ان استلامه للرسالة سيشجعه على معاودة الكتابة لها وسيشجعه على أمل غير موجود اصلاً، لقد افترقت دروب حياتهما، ومهما كانت دروبهما الجديدة الآن فإنها لن تلتقي به ثانية أبداً. لقد ساهم الرجل الجالس قربها بذلك، بقوته وطغيانه، بالقبضة المحكمة التي يسيطر بها على مصير والدها. كان جيسون الآن جزء من ماضيها وجزء مغلفاً بالذنب أيضاً، وهي لن تغفر لنفسها ابداً طريقة جرحها لأحاسيسه وايذائه.

سألته فجأة: «إلى اين تأخذني؟»

«إلى مكان ما قد يعيد اليك بعضاً من ذاتك. فأنت على عتبة الانهيار العقلي وانت تعلمين ذلك، لا؟»

حقاً؟ تساءلت في نفسها. أجل لربما ما يقوله صحيح، ومجدداً هذا بسبب خطأ الرجل الجالس قربها، ومن جراء الضغط الذي يمارسه عليها، وكيف تمكن وبظرف ساعات قليلة التحول من عدو والدها اللدود إلى صديقه المخلص! كانت كلما حاولت الاستفسار عن هذا الأمر من والدها يغير هذا الأخير الموضوع متمتماً ان الخبيث الذي تعرفه افضل ممن لا تعرفه. ثم كان يسوده الاضطراب فتضطر هي للتوقف عن طرح الاسئلة. والأغرب من هذا كله انه رغم كل ما تعرفه عن هذا الرجل، فإن مجرد النظر إليه وهو جالس قربها، تعتريها مشاعر من نوع مختلف كلياً، هي لا زالت تجهل كنه وسر هذه المشاعر. كما انها غير راضية عن نفسها من جراء مشاعرها هذه حتى انها تجد انه من الصعب عليها تقبل مشاعرها هذه مثل تقبل ما يشعره هو اتجاهها.

خفت سرعة السيارة الآن فرفعت رأسها منتشلة نفسها من هواجسها وافكارها المتضاربة، ثم سألته بحدة فور تمييزها لمدخل المنزل الذي توقفوا امامه: «لماذا احضرتني إلى هنا؟»

«كي تقومي بما عليك القيام به كي لا تنهاري، كما اريدك ان تتناسي ولو مؤقتاً قلقك الدائم على صحة والدك.»

«هنا؟» صاحت وهي تحدق بالمنزل الابيض أمامها هنا آخر مكان في العالم يمكنها ان ترتاح فيه.

«لا تسرحي بخيالك.» قال وهو يوقف السيارة: «انا لم

احضرك إلى هنا بقصد الاساءة اليك.» ثم ابتسم وهو يغادر السيارة ويدور ليفتح لها الباب لتتمكن من الخروج.

قال بعدها: «اتعرفين يا نينا لو تمكنت من الوثوق بي ولو قليلاً، لكنت اكتشفت انني لست ذلك المخيف الذي تعتقدينه.»

اومأت برأسها ولم تعلق بشيء، كيف يقترح عليها الوثوق به بينما هي لا تثق بنفسها؟ تركته يقودها إلى داخل المنزل الذي وقبل اسبوع واحد فقط طردها منه بقسوة.

«جون.» نادى صوت فور دخولهما البهو الدافىء وظهر الرجل الذي رأته برفقته يوم تسللت إلى منزله واختبأت خلف عمود السلالم.

«جد السيدة لوكاس واطلب منها تحضير غداء خفيف قرب حوض السباحة، ثم خذ اجازة لبقية النهار، فنحن لن نتابع أي من الأعمال اليوم.»

كان يجر نينا جرّا اثناء حديثه، وبعدما ابتعدا عن جون، توقف طوني فجأة واستدار متابعاً: «بالمناسبة...» ادارها برفق من كتفيها لتواجه الرجل الآخر: «هذه نينا لوفل وستتزوج بعد ثلاثة اسابيع، لذا اريد منك الاهتمام بكل الترتيبات وبأسرع وقت ممكن.»

استدار مجدداً متجاهلاً عن تعمد أو دون قصد ملامح الاثنان المذهولة. ثم تابع قائلاً لجون: «لكن ليس اليوم يا جون. اليوم اريد بعض الهدوء والسلام مع خطيبتي.»

تمتم جون المسكين: «حاضر يا سيدي.» فيما كان طوني يفتح بابا ويقود نينا إلى داخل الغرفة مما جعلها تنسى كلياً صدمة ما سمعته قبل لحظات.

«آه!» شهقت وهي تنظر إلى الثراء والفخامة حولها، كانت الغرفة بسقف زجاجي يسمح للشمس بالتسلل إلى داخلها والانعكاس على حوض السباحة الرائع وسط الغرفة. كانت المقاعد المريحة تنتشر حول الحوض بمساندها الملونة فيما الأبواب الزجاجية المطلة على الحديقة في الخارج مفتوحة ونسيم الصيف العليل يداعب اوراق الاشجار معيداً إلى نينا الانتعاش بعد اسبوع كامل من القلق والتوتر.

«ما المكان الأفضل من هذا المكان للراحة؟» سألها وهو ينتزع ربطة عنقه ويرميها على احد الكراسي. «لا... لا استطيع السباحة هنا، فليس لدي ثوب سباحة.»

«لا مشكلة بذلك.» قال وهو يشير إلى باب صغير على طرف الحوض: «ستجدين ما يناسبك هناك...» كان يشير إلى باب آخر على طرف الحوض، ثم تابع: «امامك عشر دقائق لتبديل ملابسك والانضمام إلي.»

ظلت مكانها للحظة راغبة بالرفض لكن دون ان تجد الشجاعة للقيام بذلك، فلا حاجة للقول بأنه سيجبرها على تنفيذ ما يريده سواء رفضت أو قبلت. الرجل الخبيث تمتمت في نفسها وهي تتجه نحو الباب الذي اشار إليه.

وبعد عشر دقائق بالضبط خرجت من الغرفة الصغيرة وهي تضع ثوب سباحة ازرق اللون من قطعة واحدة كان الأكثر احتشاماً بين اثواب السباحة النسائية المتعددة الموجودة في الغرفة الصغيرة.

كان طوني في الحوض يسبح بمهارة وقد ارتدى شورت سباحة اخضر اللون، ووجدت نينا نفسها رغماً عنها تحدق به وبحركاته المتناسقة اثناء قطعه للحوض ذهاباً وإياباً

سارت بتردد نحو الحوض ونزلت على الدرجات القليلة إلى المياه الدافئة، شاعرة بالسعادة لنزولها إلى الحوض قبل ان يراها.

انتبه لوصولها فوقف وسط الحوض ونظر اليها، راقبته بأنفاس متقطعة وهي تشعر بالغيرة من مهارته في السباحة. عاد ليسبح باتجاهها ورأسه يختفي في المياه للحظة ليعود ويظهر ثانية. ابتسم لها بوصوله إلى قربها وحبست هي انفاسها متسمرة مكانها، لكنه استدار لحظة وصوله لحافة الحوض حيث هي، وعاد يسبح مبتعداً مما جعلها تتنفس براحة ثانية.

استغرقت وقتاً قبل أن تسترخي اخيراً، فقد كان يتصرف وكأنها غير موجودة بعد ان ابتسم لها تلك الابتسامة. هذا ما جعلها تسبح باستمتاع في الحوض الكبير متحاشية الاقتراب منه وقد غادرها بعضاً من التوتر السابق.

كانت تطوف بتكاسل على ظهرها حين اقترب منها أخيراً، كانت اشعة الشمس تلمع على شعره الأسود الفاحم، أغمضت عينيها وعادت لتفتحهما فوراً عند لمس ذراعها بخفة.

سألها: «اتشعرين بالاسترخاء؟» طأطأت رأسها ثم اخبرته بخجل انها تشعر بالحمق لما كان عليه مزاجها سابقاً.

بدا عليه التفكير وهو ينظر اليها، ثم قال وكأنه يعذر تصرفها: «لقد كنت عرضة لتوتر وقلق كبيرين.»

اكتفت نينا بالابتسام، فهي لا تزال ترزح تحت وطأة توتر وقلق كبيرين، لكن لم يكن والدها حالياً مصدر هذا القلق بل وسامة هذا الغريب كلما نظر اليها.

«علينا جميعاً ايجاد وقتاً للاسترخاء واللهو يا نينا.» قال

بعد لحظات ثم ابتسم مظهراً اسنانه الناصعة البياض متابعاً: «حتى انا المخيف حسب رأيك، يحب الاسترخاء واللهو احياناً.»

لم تستطع ردع نفسها، فقد ضحكت بدورها.

تمتم برضى: «هذا افضل، بدأت اتساءل ان كنت تعرفين الضحك.»

ردت بخجل: «القول ذاته ينطبق عليك.»

وافقها على الفور: «اجل. كانت معرفتنا مشحونة بالكآبة لغاية الآن.» ثم عاد للابتسام ثانية ممسكاً بيدها وواضعاً كفها فوق كفه: «اترين كم تبدو بشرتك ناصعة البياض مقارنة مع بشرتي؟ يبدو وكأن بشرتك المسكينة لم تتعرض يوماً للشمس من قبل.»

سحبت يدها من يده مشيحة ببصرها عنه كي لا يرى الاعجاب في عينيها. اجابت باحتقار مرح: «هذا فقط لانكم معشر اليونان تعشقون الشمس، فيما انا لدي الكثير من الأعمال المهمة لملء وقتي.»

ابتعدت عنه بعد ان رمت وجهه بالماء فجأة، وضحكت للدهشة التي ارتسمت على وجهه.

كانت تحاول الخروج من الحوض حين لحق بها وامسك بيدها.

«لا تتجرأ وتقبلني!» صاحت في وجهه، ثم انّبت نفسها لتجرأها على إغاظة هذا الرجل من بين كل الرجال.

سأل بتكاسل: «لم لا؟»

«ارجوك يا طوني، اتركني.»

رد والمزاج المرح لا يزال يغلب على صوته: «اذاً، عليك دفع غرامة مقابل رميك لي بالماء.»

إما قبلة أو تغطيس رأسها تحت الماء وعليها اختيار الأمر الثاني بالطبع.

صاحت: «غرامة.»

تعالى في تلك الاثناء صوت نسائي من مكان ما فوقهما: «حسناً، حسناً هذا شيء جميل.»

قال طوني على الفور: «اهلاً لويزا هذه... مفاجأة.»

لم تكن نينا قادرة على رفع بصرها نحو المرأة الواقفة فوقهما مباشرة والمذهولة دون شك.

حول طوني انتباهه إلى الزائرة قائلاً: «اعتقدت انني اعطيت أوامري بعدم إزعاج أحد لنا لكن... لا بد انني كنت مخطئاً.»

قالت لويزا: «تعرف السيدة لوكاس يا عزيزي، انك لا تقصدني انا بالذات.»

أجاب باستخفاف: «هكذا إذاً؟ هل هذا صحيح؟ يا لغبائي بعدم توضيح ما اعنيه بالضبط.»

«اجل.» وافقته لويزا: «هل ستبقى في الماء كثيراً يا طوني؟ لأنك ان فعلت فسأغير ملابسي وانضم اليك.»

«ليس ان كنت تهتمين لصحتك يا لويزا.» قال وهو يبتعد عن نينا ويغادر الحوض والماء يقطر منه.

«لكم نحن متواضعين اليوم.» سمعت نينا صوت لويزا الذي يسخر من ثوب سباحة طوني: «لم أرك تضع هذا الشورت منذ سنة أو بالأحرى منذ سنوات.»

«الديك رغبة بأن تُصفعي ايتها المحتالة؟» قال مهدداً، وتذكرت نينا، رؤيتها للاثنين معاً للمرة الأولى حيث كان كل شيء يدل على انهما صديقان.

استدار طوني ومد يده لنينا بغية مساعدتها على الخروج من الماء، لم ترغب بالإمساك باليد الممتدة اليها وتمنت لو تسبح بعيداً عنهما، بعيداً عن عيني لويزا، الجميلة الساخرة، لكن وبغرابة دفعتها نظرات لويزا لأن تمسك بيد طوني، ولأن ترفع رأسها بكبرياء فيما هو يمسك بها ويسحبها من الماء.

«شكراً.» قالت وهي تقف على أرض الغرفة قربه بقامتها الرشيقة.

«هذا من دواعي سروري.» رد بمرح: «دعيني اعرفك على... صديقة قديمة لي.»

اجتاحت نينا موجة عارمة من الغيرة بينما تابع طوني يقول بهدوء مركزاً نظره على وجه لويزا الساخر: «نينا اريدك ان تقابلي صديقة قديمة جداً لعائلة لاكتوس، لويزا ماندراكي، نينا لوفل يا لويزا، زوجتي المستقبلية.»

ساد صمت شديد الوطأة، وتشنجت ملامح وجه لويزا تحدق به بعدم تصديق.

«لا يعقل انك جاد بهذا يا طوني.» استطاعت لويزا، ان تقول بصوت مخنوق.

«هذه مفاجأة حقيقية، أليس كذلك؟» قال متجاهلاً عن عمد صدمة لويزا: «انت مصعوقة ولك الحق بذلك، فأنا نفسي لازلت مصعوقاً.»

«لكن ماذا عن...؟» توقفت وهي ترتعش قليلاً، لكنها تابعت: «اتعرف والدتك بهذا؟»

والدة؟ اي والدة؟ لم تكن نينا على علم بوجود والدة له.

اكد لها بهدوء: «بالطبع، لقد اطلعتها على هذا الأمر عبر الهاتف ليلة البارحة والا لما اخبرتك بذلك الآن يا لويزا.» ثم

اشار ملمحاً: «تعرفين مدى تعلق والدتي بالتقاليد والعادات.»

«أجل...» قالت وعيناها تتقلصان وهي تنظر إلى وجه نينا المنزعج، لكنها سرعان ما استعادت فوراً رباطة جأشها.

«هل اقدم لك التهاني آنسة لوفل؟» تابعت وقد مدت لويزا يدها الرشيقة لمصافحة نينا واظافرها الحمراء الطويلة تبدو حادة كآلات القتل.

ارتجفت نينا وقالت في نفسها، انها تريد ان تقتلني.

أجابت نينا ببرود قدر استطاعتها: «شكراً لك.»

«ولك أيضاً يا عزيزي بالطبع...» قالت والابتسامة تشع على شفتيها.

اقترحت لويزا بصوت ابح: «هذا يستدعي احتساء عصير الاناناس للاحتفال اليس كذلك يا طوني؟ لم لا تذهب وتحضر ابريقاً مليئاً بالثلج بينما تخبرني... خطيبتك كل شيء عن قصة حبكما؟»

«يا لها من فكرة جيدة.» قال وهو يستدير مجدداً إلى نينا بابتسام وانحنى لطبع قبلة سريعة على خدها.

لا تتجرأ وتتركني وحدي معها، حذرته عيناها، لكن ابتسامته اتسعت، فادركت بغضب انه يستمتع بهذا، انه يعتقد ان اللقاء بين زوجته المستقبلية وصديقته القديمة، نكتة مضحكة.

«سأتغيب لدقيقة فقط.» اكد لها وهو يلامس خدها، ثم ابتعد وهو يصفر لحناً مرحاً تاركاً نينا مع شكوكها وكأنه يتعمد تركهما معاً ليعرف من التي ستبقى على قيد الحياة منهما عند عودته، حسناً هي لن تقبل الرضوخ لهذا الاختبار.

قالت نينا بأدب: «اعذريني، سأذهب لتغيير ملابسي فيما...»

قاطعتها لويزا: «اتهربين يا حبيبتي؟ انا لا الومك على ذلك. عدم اخبار طوني لك عني كان تصرفاً سيئاً من قبله.»

رفعت نينا رأسها وحدقت بعيني لويزا ببرود.

قالت بلطف: «اعرف كل شيء عنك يا آنسة لويزا ماندراكي، انت صديقة طوني القديمة.»

«يا فتاتي العزيزة.» ردت لويزا باسمة بسخرية مهينة: «بيننا الكثير ما هو اعمق من مجرد الصداقة.»

«هذا جميل.» علّقت نينا بهدوء رافضة أخذ هذا الطعم رغم تأجج الغضب بداخلها.

تابعت الفتاة السمراء: «لن تقبل والدته بك كما تعرفين لصوفيا مثاليات صارمة فيما يتعلق بابنها الوحيد، انها لا تؤمن باختلاط الأعراق. الزوجة اليونانية هي الزوجة الوحيدة التي ستقبل بأن تكون رفيقة درب ابنها وطوني يعرف ذلك مما...» توقفت لتنظر بفضول إلى نينا: «مما يجعل هذا الاعلان مثيراً للحيرة...»

ان كانت تريد إزعاج نينا اكثر بفكرة الزواج هذه، فقد نجحت في سعيها، ففكرة مواجهتها لوالدة عدائية لم يكن بالأمر المشجع ابداً.

قالت وهي تحافظ قدر استطاعتها على برودة اعصابها: «انا لن اتزوج من والدته.»

«انت لن تتزوجي من ابنها أيضاً، ان كان لصوفي القرار بهذا الشأن. لوفل...» تمتمت وهي تدرس بنظرها نينا من رأسها حتى أخمص قدميها: «لوفل... لماذا يبدو هذا الاسم مألوفاً لدي؟»

ثم وبعد لحظات من التفكير تابعت لويزا تقول: «آه، أجل! انها شركة جوناس لوفل التي تملك العديد من الممتلكات في وسط لندن، اليس كذلك؟ الممتلكات التي كان طوني يحاول وضع يده عليها منذ بضعة اشهر الا اذا كنت مخطئة...»

لا، لست مخطئة، فكرت نينا بحزن فيما ظل التعليق معلقاً في الهواء بينهما جاعلاً نينا تنظر بعيداً، الأمر الذي جعل ابتسامة لويزا تتسع بعد ان لاحظت ردة فعل الأخيرة.

«اتساءل ان كانت صوفي ستوافق بمعرفتها هذا الأمر، نحن اليونانيون نهتم كثيراً بالزواج المفيد مالياً، ومن يدري لعل وجود أراضي بقيمة ملايين الدولارات قد تقلب دفة الميزان لصالحك في نظر صوفيا، لكن ما هو شعورك يا آنسة لوفل... بأن تباعي وتشتري بتلك الطريقة؟»

«انتظري قليلاً...» قالت نينا وقد صعقتها كلمات لويزا: «انتظري لحظة من فضلك، لا يحق لك...»

قاطعتها لويزا بغضب وقد تخلت عن برودتها: «بل لي كل حق. طوني لي انا، اتسمعين؟» وخطت خطوة نحو نينا: «لطالما كان ملكي أنا! نحن صديقان منذ سنوات.»

«وهذا يجعلك... ماذا بالضبط؟» طرحت نينا هذا السؤال بجرأة.

شحب لون لويزا وقالت: «ان اعتقدت انه سيتوقف عن المجيء إليّ لأنه سيتزوجك فأنت حمقاء دون شك، ماذا بامكانك انت الانكليزية انت تعطي رجلاً مثل طوني؟»

لمعت عينا نينا الزرقاوتان باحتقار وسمعت نينا نفسها تقول: «الاخلاص يا آنسة ماندراكي.» وظهرت الصدمة على الوجه السمراء فيما تابعت نينا: «اليس هذا ثميناً جداً عند

اليونانيين تماماً كالأراضي الغالية التي سأحضرها معي لهذا الزواج؟» بالطبع لا تدرك لويزا ذلك، لكن الكلمات كانت تؤلم نينا كما تؤلم اليونانية بالضبط: «وطبعاً حتى والدة ذات المثاليات العالية ستعرف أهمية هذا الدى زوجة ابنه التي لم تكن سهلة المنال ومتوفرة دوماً كما نقول نحن الانكليز.»

وجهت لويزا ضربة مباشرة في اتجاه نينا وعندما حاولت نينا تفادي هذه الضربة، سقطت في حوض السباحة. اخذت تسبح تحت الماء وهي تسمع صوت وقع خطوات لويزا على ارض الغرفة. شعرت بالارتياح لأن المرأة غادرت غير عازمة على القفز خلفها داخل الحوض كي تنتقم منها.

لدى خروجها اخيراً من حوض السباحة، تناهى الى سمعها صوت بدا صاحبه مستمتع بما يجري ويدور: «النساء اليونانيات معروفات بمزاجهن الناري المتفجر.»

استدارت نينا لتجد طوني واقفاً عند باب الغرفة وبيده زجاجة ودلو ثلج.

نظرت اليه بغضب شديد وسألته: «كم سمعت من الحديث السابق؟»

أجاب بخيبة أمل: «آسف للقول انني لم اسمع الكثير، لكن بالنظر إلى وجه لويزا، وهي تمر بقربي يسعني القول انك المنتصرة، احسنت صنعاً، مع انني اعتقد انني احتاج لبعض الوقت كي اعيد مزاجها إلى ما كان عليه قبل رحيلها.»

«حسناً.» قالت باشمئزاز: «سأغادر هذا المكان. قبل وصول المزيد من نسائك يطالبن بك.»

سبحت لطرف الحوض وخرجت من الماء ثم اتجهت نحو باب الغرفة الذي يتكىء عليه.

«يجب تغيير عادتك هذه بمغادرة منزلي وانت في ثوب السباحة يا حبيبتي نينا.» قال ذلك بتكاسل ومرح بينما هي تشتعل غضباً.

ثم تابع: «فأنا لا يسعني ترك زوجتي تخرج هكذا.»

«لست زوجتك بعد.» صرخت بحنق وهي تستدير لتتوجه إلى غرفة تبديل الملابس حيث تركت ملابسها مدركة صوابية تعليقه اللاذع لعدم انتباهها ومحاولتها الخروج من الغرفة بثوب السباحة الأزرق!

«اتحتاجين للمساعدة؟» سألها بمرح.

«تباً لك!» قالت وهي تدخل غرفة الملابس وتصفق الباب خلفها.

الفصل السادس

عندما خرجت نينا من غرفة الملابس، وجدت طوني جالساً على أحد الكراسي بانتظارها، كان قد ارتدى ملابسه وبدا كما كان تماماً حين جاء إلى منزلها صباحاً. شعره الرطب وحده، يشير الى انه كان يسبح سابقاً.

«انتما صديقان.» اتهمته فور خروجها.

أجاب بهدوء: «اتشارك ولويزا بعدة امور.»

«انت جدير بالازدراء كما سبق واخبرتك.»

ارتفع الحاجبان السوداوان: «وما شعورك وانت تريدين بقوة، رجل جدير بالازدراء مثلي؟»

احمرت وجنتاها لتعليقه وسكتت عما كانت ستقوله. انه محق، انها تريده رغم كرهها له.

قالت ببرود: «اريد العودة إلى المنزل لو سمحت.»

«انا واثق من ذلك. لكن ليس بعد، ليس قبل جلوسك هنا وتناولك بعض الطعام.» اشار إلى صينية مليئة باصناف متعددة من الطعام، لا بد ان مدبرة منزله قد احضرتها اثناء وجودها في غرفة تبديل الملابس.

«نحن بحاجة للتحدث، انت وانا. اراك شديدة النحول، بوسعي القول انك فقدت الكثير من وزنك منذ رأيتك للمرة الأولى.»

يستطيع تذكر شكلها منذ رآها لأول مرة رغم النساء العديدات في حياته!؟ فكرت نينا بحرقة ودهشة، ظلت مكانها

تنظر إليه مستائلة فيما لو تتحداه وتغادر المكان، فقد نالها ما يكفيها من طوني لاكتوس ليوم واحد.

«ان اضطرت للقدوم واحضارك بنفسي، فلن يعجبك ذلك.»

ادركت انه عرف ما يجول في خاطرها، فمشت حول حوض السباحة نحوه. تناولت ساندويشاً بعدم حماس، الأمر الذي جعله يبتسم وكأنها طفلة مما زاد من امتعاضها، لكن كان طعم الساندويش لذيذاً جداً. تحاشت ان تلتقي نظراتهما فيما بدا هو مكتفياً باحتساء القهوة الساخنة للحظات قبل البدء بحديثه.

تناولت ساندويشاً آخر.

«هل سمعت شيئاً من هانتر منذ الاسبوع الماضي؟»

تجمدت نينا في مكانها وقالت: «لا.» شعرت بالغصة من كذبتها الصريحة، لا يعقل انه يعرف شيئاً عن رسائل جيسون اليها، لا يعقل ذلك! فقد رمت كل تلك الرسائل.

«هل دفعت له المبلغ الذي وعدته به؟» سألته محاولة تغيير الموضوع.

تجاهل سؤالها وقال: «انا واثق من انك تعرفين العواقب بحال اكتشافي يوماً انك تكذبين عليّ؟»

نظرت نينا اليه بفضول وسألت: «وهل ستعلمني من الآن فصاعداً باتصالك ثانية بالجميلة لويزا؟»

ابتسم وقال: «هل انت واثقة من رغبتك بمعرفة ذلك؟ شاهدت الغيرة في عينيك قبل الآن. للغيرة طريقة خاصة بتلبيد سماء الحقيقة وحقيقة الأمر انني لا استطيع وعدك بعدم الاتصال بلويزا ثانية لأننا ننجز بعض الأعمال التجارية معاً بين الحين والآخر.»

«لا تنس الرابط العائلي.» ذكرته دون ان تصدق كلمة مما قاله، مدركة ان لا نية لديه بالابتعاد عن لويزا الجميلة، فهي جميلة كفاية لسلب أي رجل.

وافقها بسعادة: «كما قلتِ، انها ابنة أعز صديقات والدتي، فيما لا عذر لجيسون للقيام بأي اتصال بك.»

«باستثناء الموسيقى.» قالت وهي تتناول ساندويشاً آخر. «اتابع وجيسون دروس الموسيقى في المعهد ذاته.» قالت وهي سعيدة لإيجاد ما تغيظه به: «لذا فلا بد وان نتقابل مرة أو اثنتين اسبوعياً.»

«هذا يؤدي بنا إلى موضوع آخر بالغ الأهمية.» حبست نينا انفاسها لتأكدها من عدم اطمئنانها لما ستسمعه حالاً: «تعليمك الجامعي.»

وضعت نينا الساندويش جانباً وقد تأكدت شكوكها.

سألت: «ماذا عنه؟ سأبدأ فصلاً جديداً في تشرين الأول (اكتوبر) وذاك لن يكون...» صمتت بعد ان رأته يهز رأسه بطريقة اخافت نينا واكدت شكوكها فصاحت: «لا. يستحيل انك تقصد هذا. انت لا تقصد فعلاً حرماني من دراستي الموسيقية.»

أمسك بيدها وقال: «يجب ان تفهمي ان هذا سيكون مستحيلاً بعد زواجنا.» بدت نبرة الأسف واضحة في صوته وهو يقول ذلك: «أسافر كثيراً بحكم عملي وسأتوقع منك مرافقتي بالتأكيد. سنكون زوجاً وزوجة بكل معنى الكلمة يا نينا، واريدك قربي في أي مكان اكون فيه.»

«لا.» قالت وهي تنهض من مكانها ويدها لاتزال في يده الباردة: «لن اتخلى عن دراستي لأجلك! سأعيش هنا في منزلك معك، فليكن، لكني لن أتخلى عن سنوات من الدراسة

لأن تفكيرك اليوناني يميل للاعتقاد ان مكان زوجتك الوحيد في الحياة هو إلى جانبك.»

تابع مصراً: «أقيم الكثير من الحفلات والاستقبالات. وستكونين بالطبع مضيفتي في أي بلد اتواجد فيه. اريدك واتوقع منك القيام بذلك الدور. لن يكون هناك من مجال لدراستك الجامعية يا نينا، انا آسف لكن هذا هو الوضع.»

«لا. لا، ارفض الموافقة على هذا.»

حدق بها بغموض للحظة يدرس وجهها الثابت وذقنها المرتفع بتحدي. ثم شع شيء ما في وجهه، شيء وكأنه مسحة ألم أم مسحة انزعاج؟ لكنه جلس فجأة على كرسيه وقد افلت يدها وكأنها تثير نفوره وكانت النظرة على وجهه نظرة ساخرة وكأنه يوجهها إلى ذاته.

ثم قال بهدوء وصراحة: «لا اعطيك أي خيار بهذا الشأن.» راقب شحوب وجهها المفاجىء دون اكتراث.

لا بد انه يمزح! فكرت بذعر. فهو ليس بهذه الحقارة! كان يحاول فقط اخافتها لسبب ما، هذا كل شيء، يريد افهامها انه صاحب القرار والسلطة، هذا كل شيء.

قال عندما لم يحظ برد منها: «طبعاً ان كانت موسيقاك أهم عندك من محاولة انجاح زواجك مني، فإن الزواج من أصله لن يتم، واذهبي انت وراء احلامك، فبأي حق اقنعك من ذلك؟ لكن... هل احلامك تلك أهم عندك من صحة والدك وسعادته؟»

«سأتخلى عن دراستي.» قالت باستسلام وهي تجلس على الكرسي وقد خانتها كل قواها.

توقعت منه التحدث بنبرة المنتصر لكن نبرته كانت شبه محبطة عندما قال: «إذن ستقاتليني حتى الموت ان توسلتك

للقبول بشيء ما لأجلي. لكن فور ذكر والدك وشركته العزيزة تستسلمين دون أي لحظة تفكير.»

«هذا هو جوهر الموضوع أليس كذلك؟» قالت وعيناها تنضحان بكرهها له: «والدي وشركته... والا لما كنت أجلس هنا أصلاً.»

«انها الحقيقة حقاً.» تمتم من دون سابق إنذار وبسرعة اذهلتها نهض عن كرسيه كالنمر وامسك بيدها الموضوعة على الطاولة وهو في حالة غضب شديد.

«إذن سنحظى الآن بالحقائق كلها. ستخبريني كل شيء عن الرسائل السرية تلك التي كنت تستلمينها من العزيز جيسون.»

اتسعت عيناها بذعر وسألته: «تعرف بشأن الرسائل؟»

«نعم، اعرف بشأن الرسائل تلك.» قال مؤكداً: «لن تسنح لك فرصة خداعي مع هانتر، لم تخلق المرأة التي تستغفلني بعد وخاصة المرأة الكاذبة مثلك أو التي أعرف انها معروفة بالتسلل إلى منازل الناس حين يطيب لها مزاجها.»

قالت مدافعة عن نفسها بقوة: «هذا غير عادل. حين أتيت إلى منزلك تلك الليلة كان بسبب...»

قاطعها بقوله: «وما ادراني؟ لعلك كنت تخططين منذ البداية لحشري في موقع مساومة حيث سيمكنك ابتزازي لترك شركة لوفل وشأنها، والا لحطمت سمعتي بإخبارك العالم كيف استطعت إهانة ابنة رجل مريض بنفس الوقت الذي كنت اسرق به شركته.»

ادركت بتلك اللحظة بالذات ما كان يحدث هنا، وتهاوت مجدداً على الكرسي متهمة اياه بوضوح: «لقد قرأت رسائل جيسون الموجهة إليّ.» حاولت تذكر فحوى تلك الرسالة.

بإمكاننا التهديد بإخبار العالم عن كيفية استغلاله لك واهانتك. فكري كم سيدفع مقابل إبعاد هكذا فضيحة عنه. في مجال الأعمال التجارية، يعتمد الرجل على معارفه الاجتماعية وعلى نظافة سمعته. وسيصبح منبوذاً اجتماعياً بحال انتشر خبر اهانته لابنة رجل مريض وسرقة شركته، مع بعض التخطيط الذكي سنتمكن من اجباره على دفع مبلغ كاف لإعادة شركة لوفل إلى سابق عهدها وحينها لن يجد والدك امامه بداً الا القبول بذلك وسيكون ممتنا لتمكننا من تخليصه من قبضة لاكتوس الجشعة.

سألته: «كيف حصلت عليها؟»

هز كتفيه بعدم اكتراث وقال: «تناولتها من سلة القمامة.» يا لغبائها، كان يستخدم مكتب والدها يومياً في الصباح بعد استخدامها الغرفة لقراءة رسائل جيسون ثم ترميها، لكم كانت غبية لعدم ادراكها انه قد يكون ماكراً كفاية ليتناول الرسائل من السلة وقراءتها مجدداً.

تمتمت بصوت ابح: «كتب جيسون العديد من الأكاذيب في تلك الرسائل يا طوني، كان يتكلم بجنون ولا أريد ان تسيء فهم ما كان يعنيه.» ألم جيسون واحباطه هما ما كانا يدفعانه لكتابة ذلك، تابعت في نفسها، فهو لم يستطع تقبل انتهاء ما كان بينهما بتلك الطريقة.

«وايها برأيك كانت الأكاذيب وايها الحقائق؟» سألها بسخرية: «لربما كل تلميحاته بشأني كانت اكاذيب أو لعلها حقائق؟ أو لربما قوة حبه لك كان حقيقة أو لعله كذبا؟»

تململت نينا بعدم ارتياح في مكانها وانحنى هو إلى الأمام ليرفع وجهها اليه متابعاً: «وماذا عن تلك التوسلات

الحارة بطلب مقابلتك يا نينا؟ اكان هذا مجرد تمني منه أم انك كنت تقابلينه خلسة عني؟»

أبقت فمها مطبقاً رافضة إجابته على ما سأل، تلاقت نظراتها بنظراته وبدا التوتر بينهما يهدد بإنفجار غاضب عارم.

سأل مجدّداً بحدة: «هل كنت تقابلينه؟»

«لماذا؟ هل تشعر بالغيرة؟» سألته بالحدة ذاتها ورأت طيف شيء في أعماق عينيه، جحظت عيناها للمفاجأة المذهلة هذه، انه فعلاً يشعر بالغيرة!

«ايتها الخبيثة.» شتم بأنفاس متقطعة وكأنه كرهها لاكتشافها الأخير: «ايتها الخبيثة الجميلة.»

ثم تابع مصرّاً اكثر: «والآن ستخبرينني بما أرغب بمعرفته.»

«لماذا أخبرك بأي شيء؟ تريد حرماني من كل شيء وبالمقابل انت لا تعطيني شيئاً!» لن تبكي، لا لن تبكي الآن، وتابعت: «طالما ستحرمني من دراستي الجامعية فانا لن اخبرك شيئاً.»

قطب حاجبيه بقسوة وقال: «يمكنك العزف على البيانو في منزلنا حتى تتمزق اذناي، لكنك لن تعودي إلى الجامعة بعد العطلة الصيفية.»

قالت بتعاسة: «لكن جيسون لا يذهب إلى الجامعة، بل يدرس في صف الموسيقى فقط، سأتخلى عن ذلك ان شئت. سوف...» جعلتها ملامحه الرافضة تتوقف عن متابعة كلامها، ودفنت وجهها بين يديها متسائلة بألم ان كان قد تبقى لها أي شيء لتقوم به.

قال متنهداً وكأنه مهزوم مثلها: «هيا. سآخذك إلى المنزل.»

لم تكن رحلة العودة رحلة سعيدة، فأحدهما لم يتكلم خلالها وكأن كل ما يجب قوله قد قيل، حين اوقف سيارته امام المنزل ارتاحت نينا لأنه لم يوقف المحرك مما يعني نيته بالمغادرة فوراً.

قال: «أنا مضطر للسفر لبضعة أيام بداعي العمل، سيكون مساعدي جون كالفر على اتصال دائم معك بخصوص ترتيبات الزفاف، اعتمدي عليه بكل شيء.» كان هذا أمراً غير مقابل للنقاش: «كل ما عليك فعله قبل زواجنا هو شراء ثوب زفاف يشرفنا معاً.»

تمتمت بمرارة: «أسود. أسود فاحم كي ينسجم مع...»

«اسمعي ايتها الحمقاء.» قاطعها بغضب وهو يقترب بوجهه الحانق منها: «تذكري فقط الدافع خلف القيام بكل هذا!»

«ليتني لم التقِ بك يوماً.»

وافقها قائلاً: «الشعور متبادل. لا افكر بشيء أسوأ من زواجي بطفلة مجنونة لا تعرف متى تخرس.»

«إذن لماذا تفعل ذلك؟» صرخت بتحد مرير.

تابعت عندما لم تلقَ جواباً: «لست مضطراً للزواج مني بينما من جهتي، فأنا مستعدة للقيام بأي شيء لجعل والدي سعيداً.»

هي تعرف تماماً ان كل كلمة قالتها الآن غير صحيحة ومستحيلة لكن لعلها تقول هذا كي تنتزع اعترافا منه؟ اعترافا قد لا تسمعه ولن تسمعه ابداً؟!

برقت عيناه للحظة قبل ان يقول: «اذن كوني سعيدة لأنني مستعد للزواج منك للوصول إلى ما أريد.» تنهد بعمق متابعاً: «ادخلي يا نينا قبل ان يصل هذا النقاش إلى شيء غير

مستحب. ويا نينا...» ناداها وهي تفتح باب السيارة لتترجل: «تذكري لمن هو ولائك الآن. لقد اصبح هانتر من الماضي الآن وأنوي ابقاءه في الماضي ذاك. لا مزيد من الأكاذيب. اريد ان اعرف حتى ولو أرسل لك بطاقة بريدية. مفهوم؟»

«اجل.» فهمت ذلك، انها ملكاً الآن لطوني لاكتوس وقد اشتراها بماله.

تغيب لاسبوع تقريباً ولم تعرف ما الأسوأ بهذا الأسبوع، وجوده قربها كي يذكرها على الدوام بسبب قيامها بهذا أم عدم وجوده قربها تاركاً لعقلها العنان بالتفكير بكل الفظائع التي ستكون فيها حياتها بين يديه، في النهاية لجأت إلى البيانو بحثاً عن مهرب، ووجدت ذلك عبر تعليم نفسها مقطوعة جديدة وصعبة لموزار.

«ما سمعته كان رائعاً.» قال والدها ذلك عند دخولها غرفته. كانت صحته تتحسن باضطراد وقد سمح له الآن بالجلوس على الكرسي قرب سريره مع انه كان يقضي معظم وقته في النوم: «لم اعرف مدى شوقي لسماع عزفك ثانية الا حين سمعتك الآن.»

«لم اشعر برغبة في العزف اثناء مرضك.» اعترفت بحزن: «لا يريد طوني ان اتابع دراستي بعد زواجنا.»

نظر والدها اليها بحدة قائلاً: «لقد تصورت ان هذا ما سيفعله. انه يحبك.» اضاف بسعادة تامة وشعرت نينا برغبة في البكاء. «احياناً يكون هؤلاء اليونانيين متملكين بشدة نحو نسائهم، امنحيه بعض الاطفال فهذا سيخفف من حدة انانيته. عندها ان كنت لازلت راغبة بذلك فقد تتمكنين من اقناعه بالسماح لك بالعودة لمتابعة دراستك.»

«هل انتم معشر الرجال تساندون بعضكم بعضاً دوماً على الصح والخطأ؟»

«النجاح بإنجاز دورك كزوجة ووالدة يا نينا اهم من النجاح الأكاديمي. لا تدعي نظريات جمعية النساء تغسل دماغك وتقنعك انك تنازلت عن حقوقك كامرأة لانك اخترت الحب والزواج من رجل طيب بدل الحياة العملية.»

الحب! فكرت بتعاسة، ما هو الحب؟ لربما لو كان الحب موجوداً بينها وبين طوني فقد تقبل بأي تضحية عليها القيام بها.

«وفكري كم سيسعد قلب والدك العجوز بتدليل حفيده.» اضاف جوناس وعيناه تلمعان بسعادة، فلم تستطع نينا سرقة هذا منه بالرد الذي ارادت ان تنطق به.

لكنها لم تستطع الا ان تسأله: «اذن انت لا تمانع بأن يكون والد حفيدك الرجل الذي كرهته في السابق لدرجة الرغبة بقتله؟»

«كان كل ذلك مجرد سوء تفاهم.» لاحظت ملامحه وهي تتبدل كعادته كلما فتحت معه هذا الموضوع: «انا... أدين له بالمال كما تعرفين.»

«أجل. اخبرني طوني بذلك.»

«فعل حقاً؟» بدت الدهشة على وجهه ثم اضاف مدافعاً عن نفسه: «كنت لأتمكن من تسديد المبلغ ثانية له لو لم تسوء أموري مع قلبي المريض.»

«انا واثقة من ذلك.» قالت نينا والثقة أبعد شيء عنها.

«لكن وفقاً لما آلت اليه الأمور.» تمتم بوهن وهو يغمض عينيه: «استطيع الراحة الآن لعلمي انه سيهتم بشركة لوفل. هناك العديد من اسماك القرش يا نينا المتأهبين للانقضاض

على رجل عجوز مريض مثلي، كان طوني مجرد واحداً منهم، على الأقل انت ستتزوجين منه الآن وسأدرك دوماً ان كل ما شقيت لأجله طيلة حياتي سيظل ضمن نطاق العائلة. هذا شعور رائع بالفعل.» تنهد برضى وتابع: «قومي بدورك فقط وامنحيني ذاك الحفيد الذي احتاج ليرثني، وحينها سيتمكن هذا العجوز من الموت بسلام.»

• • •

كانت هذه امسية يوم السبت وكان طوني سيأتي لاصطحابها بظرف دقائق قليلة. لقد تمت دعوتها عبر الهاتف ومن خلال جون كلافر الليلة السابقة. يبدو ان طوني كان سيصل من اليونان اليوم وسترافقه والدته كي تقابلها، فنينا مدعوة لتناول العشاء معهما.

يا لهذا الأمر، فكرت نينا بسخرية، ستتم دراستي من رأسي حتى أخمص قدمي لمعرفة سواء اكنت مناسبة وفق مقاييس والدته العالية لأكون عروس ابنها. حسناً هناك شيء واحد اكيد قالت في نفسها وهي تضع اللمسات الأخيرة على زينة وجهها، ولا حتى صوفي بإمكانها انتقاد مظهرها هذه الليلة وقد عملت هي لساعات للوصول إلى ما تراه الآن في المرآة.

لكنها رغم ذلك كانت متوترة قليلاً وهي تحدق بانعكاس صورتها بالمرآة. كان ثوبها حريري طويل يخفي جسدها الرشيق باستثناء فتحة الصدر التي على شكل قلب. سبق واختارته لترتديه في حفلات استقبال والدها، فنمطه الكلاسيكي الراقي يظهر جمالها دون ابتذال ويظهرها اكبر قليلاً من سنوات

عمرها كما ويتلائم تماماً مع شعرها الأحمر وعينيها الزرقاوين. ومظهرها باكمله يعطي مسحة من الرونق المميز الفاتن مما ساعدها على التخفيف من توترها.

كما وانه الثوب ذاته الذي شاهدها به طوني في المرة الأولى، ذكرت نفسها بهذا وهي تستدير لتتناول حقيبتها وشالها، لكن ذلك لا يعني شيئاً قالت في نفسها متجاهلة تسارع دقات قلبها. هي لم تختره لهذا السبب بل لأنه الثوب الذي سيشعرها بالثقة اكثر من غيره.

رفعت رأسها بعزم وهي تغادر غرفتها لتلقي تحية المساء على والدها.

وصل طوني في الموعد المحدد بالضبط وبدا بالغ الجاذبية ببذلته السوداء الرسمية وقميصه الابيض الرائع، مما جعلها تحبس انفاسها بينما أخذ ينظر إليها بعدم اكتراث.

«لم تضعي اي مجوهرات.»

أجابت دون مبالاة: «لا. فأنا لا أحبذ وضعها.»

ارتفع حاجبه بسخرية: «اذن اتمنى ان تحبذي وضع هذا...» اقترب منها وتسارعت احاسيسها لأخذ موقف الدفاع ضد ما كان يعتمر داخلها، مد يده إلى جيب سترته وتناول علبة صغيرة فتحها امام عينيها ولم تستطع الا ان تشهق بإعجاب لرؤيتها خاتم الفيروز الأزرق الرائع بحجره الرائع ودائرة الألماس حوله.

أمرها: «اعطني يدك.»

قالت متلعثمة: «أنا... اواثق ان هذا ضروري...؟»

«واثق تماماً.» قال وقد امسك بيدها اليسرى التي لم ترفعها اليه ووضع الخاتم في اصبعها متابعاً: «يعود هذا

الخاتم لجدتي وستتوقع والدتي ان تراه في إصبعك، لقد تركته لي لهذا الهدف بالذات.»

«انا... شكراً لك.» همست وهي تشعر برغبة بالبكاء.

ابتسم بغموض ثم قام بشيء غريب، فقد أحنى رأسه وطبع قبلة على يدها فوق الخاتم. حين استقام لم ينظر اليها لكن نينا لمحت شيئاً عميقاً في عينيه قبل ان يقودها إلى السيارة.

كان السائق الخاص هو من اوصلهما بسيارة الليموزين إلى المنزل هذه الليلة. ساعدها طوني لدخول السيارة الفاخرة قبل ان يدخل ليجلس إلى جانبها فيما الحاجز الزجاجي الداكن يفصلهما عن السائق.

«لازلت اشعر بالتعب بعد السفر الجوي الطويل. لذا لا اشعر برغبة في القيادة بنفسي.»

«ظننتك مع والدتك في اليونان.» قالت بخجل وهي تشعر بسيطرة هذا الرجل على كل حواسها: «الناس لا تعاني من التعب جراء رحلات قصيرة.»

وافقها: «كنت في اليونان هذا الصباح. لكني كنت قبل ذلك في الولايات المتحدة وتوقفت في أثينا فقط لمرافقة والدتي إلى لندن. كنت أقفز عبر القارات.» اخبرها بمرح وهو يراقبها رغم رفضها مبادلته النظر: «محاولاً انجاز اعمال شهرين في اسبوع واحد.»

سألت بارتباك: «وكيف...؟ كيف تقبلت والدتك نبأ زواجنا؟»

ظهر التوتر في نبرة صوتها وصمت طوني للحظة وهو يحدق بها: «هي لا تخيف كما تعلمين.»

«لا؟» تساءلت مبتسمة: «ابنها كذلك. لا بد انه ورث ذلك من مكان آخر.»

ضحك بخفة وأومأ برأسه قائلاً: «لربما يا حبيبتي يا سيئة الحظ... تبدين كجاندارك المنطلقة بشجاعة لمواجهة مصيرها.»

تململت نينا بمكانها وظلت صامتة.

اضاف بمرح: «اتساءل ان كانت الآنسة جاندارك تؤمن بأن قضيتها تستحق مثل تلك التضحية؟»

«ما احوال شركة والدي منذ استلامك أمورها؟» سألت لعل طوني تراجع عن الاستيلاء على الشركة، لكنه هو من يهتم بكل امورها حالياً.

اجاب بجدية: «افضل بكثير مما كانت عليه، ولا أي شركة عاقلة كانت لتبدد ممتلكاتها ورأس مالها كما كان يحدث في لوفل. هل وصلك شيئاً من هانتر اثناء غيابي؟» حان وقته لتغيير الموضوع وجعلها تتوتر في الوقت ذاته.

«لا.» اجابت بثبات وكانت تنطق بالصدق هذه المرة فقد توقفت رسائل جيسون كلياً. نظرت اليه بشك وقالت: «افترض انك هددته أو ما شابه.»

«لقد اكتفيت باسداء النصح، وبأن نسيانك يكون افضل له.»

قالت بتجهم: «إنه الأمر ذاته. لا بد انك لم تكن لطيفاً معه فهذا ما لا تعرفه اطلاقاً.»

«توقفي عن ذلك.» تنهد بنفاد صبر: «هذا يكفي يا نينا. روحك المقاتلة تحظى بإعجابي ولا تدري كم استمتع بذلك. لكني متعب. ولست بمزاج مناسب لذلك هذه الليلة.»

ثم تابع بعد لحظات: «كدنا نصل إلى منزلي واريد ان تراك والدتي هادئة.»

همست: «انت...»

قاطعها بمرح: «جدير بالازدراء اعرف ذلك، كررت هذا على مسامعي كثيراً لدرجة انني سئمته. لكن تذكري هذا فقط ايتها المشاكسة الصغيرة، والدتي بريئة من كل هذا. لذا أبق هادئة ولا تحاولي اهانتي امامها، والا فسأضطر للقيام بإجراءات مأساوية للتأكد من عدم قيامك بمثل هذه الأمور.»

سألته بتهور: «تهديد آخر يا طوني؟»

«والأفضل لك تصديقه يا نينا. ستلعبين دور العروس السعيدة والا... هل فهمت؟»

ردت باستسلام: «أجل. لا نية لي لأن اقوم بأي شيء آخر.»

«جيد، ها قد وصلنا.»

الفصل السابع

«طاب مساؤك آنسة لوفل.» رحب جون كالفر الذي كان ينتظرهما في البهو، ثم نظر نحو طوني وقال معتذراً: «آسف لاخبارك بهذا فور وصولك يا طوني لكن المكالمة التي كنت تنتظرها من نيويورك على الهاتف الآن.»

«تباً لتوقيتهم السيء.» قال طوني وعيناه تشعان بالدفء وهو ينظر إلى نينا بروعة مظهرها في الغرفة الخشبية السوداء: «عليّ مكالمتهم.»

طأطأت نينا برأسها غير قادرة على فعل أي شيء آخر لشدة التوتر الذي تشعر به.

سأل طوني مساعده: «أين والدتي؟»

«في غرفة الجلوس.»

«إذن أخبر نيويورك انني سأوافيهم بعد لحظات.» ثم تناول شال نينا عن كتفيها وأعطاه لجون، كانت عيناه مركزتين عليها بطريقة جعلت قلبها ينتفض، كيف يعقل انها تكره هذا الرجل بنفس القوة التي تريده بها؟

«حسناً؟» استفسر وهو يقودها إلى الغرفة التي شاهدت الناس تخرج منها ليلة وصولها لمنزله أول مرة.

أجابت رافعة رأسها: «أجل.»

ضحك بخفة قبل أن يقول: «لا تقلقي ستحبك والدتي. كيف لها ألا تفعل وأنت تبدين فاتنة هذه الليلة؟»

لون التورد خديها لهذا الاطراء، فابتسم طوني وهما يدخلان الغرفة.

كانت غرفة جميلة مؤثثة على الطراز الاوروبي الكلاسيكي بلون عاجي وذهبي، لاحظت نينا ان جو الغرفة يعكس الفخامة والاسترخاء في الوقت نفسه قبل أن يشد طوني انتباهها ويجذبها نحو المرأة التي كانت تنهض عن الكنبة العاجية الطويلة.

انتفض قلب نينا فوراً، كان أمامها امرأة ذات حضور مميز بقامتها الطويلة وشعرها الأسود المعقوص الى الخلف حول وجه جميل وبشرة سمراء، وجه لم يعكس أي ترحيب داخل عينيها الباردتين.

«والدتي.» حياها طوني بحرارة وهو يحيط خصر نينا بذراعه فيما انحنى ليقبل والدته: «وصلت مكالمة نيويورك التي كنت انتظرها، لذا أنا مضطر لتقديمكما لبعضكما البعض بسرعة وترككما لتعميق معرفتكما. نينا؟ هذه والدتي يا حبيبتي، والدتي، هذه المرأة التي أسعدتني بوعدها لي في أن تكون عروسي.»

انتصار أم تحدي؟ تساءلت نينا عن كنه نبرته وهو ينطق بكلماته الأخيرة.

«طاب مساؤك سيدة لاكتوس.» حيتها بعصبية وهي تمد يدها للمصافحة وارتعشت لنظرات السيدة الباردة وهي تلتفت إليها.

«آنسة لوفل.» قالت صوفي لاكتوس متجاهلة اليد الممتدة نحوها بل تقدمت للأمام خطوة ولامست خد نينا بخدها: «يسرني ان التقي بك أخيراً.» تمتمت وهي تبتعد

فيما عينيها تقولان شيئاً آخر الأمر الذي جعل نينا تضطرب أكثر. إذن كانت لويزا، على حق فوالدة طوني لاكتوس لن تقبلها أو ترحب بها بأي دفء.

«علي الذهاب.» قال طوني قاطعاً التوتر بين المرأتين: «اعتني بها يا والدتي، نينا مضطربة قليلاً من جراء مقابلتك ابذلي جهدك لتشعريها انها في منزلها.»

مجدداً التقطت نينا نبرة التحدي في صوته وأدركت ان طوني واجه صعوبة بإقناع والدته ان نينا لوفل هي المرأة التي يريدها كزوجة. ونينا تتفهم هذا فهي نفسها غير مقتنعة بهذا الزواج. لكنها أرادت إبقاء الأمور في نطاق اللياقة والأدب، قطعت التوتر الذي عاد ليسود بعد مغادرة طوني بالقول: «كان لطفاً جماً منك سيدة لاكتوس تكبد عناء رحلة المجيء لرؤيتي.»

ردت بلهجة جافة: «أصر ابني على ذلك. لكن علي اخبارك يا آنسة لوفل ان طوني أحزنني بشدة بهذا القرار المفاجىء.»

«أنا... آسفة.» تمتمت نينا بأسف صادق لأنها خيبت آمال والدته.

«أنت حتى لست يونانية.»

«لا.» أكدت نينا: «لا يسعني الادعاء بوجود أي دم يوناني في عروقي.» ورفعت رأسها بكبرياء متابعة: «لكن دم عروقي أحمر تماماً كالدم الجاري في عروقك يا سيدة لاكتوس.»

«أحمر كشعرك المريع دون شك.» قاطعت وعيناها السوداوان ترمقانها باحتقار.

«لن أعتذر عن لون شعري الأحمر.» قالت وقد بدأت يداها بالارتجاف فوضعتهما خلف ظهرها، لقد حذرها طوني من مغبة التشاجر مع والدته، لكن كان عليه الطلب من هذه الوالدة الالتزام بأصول الضيافة واللياقة على الأقل فالأخيرة كانت أكثر من مصممة على إثارة غضب نينا.

«أنت لست سوى مجرد طفلة بالغة النحول برأيي.» قالت الوالدة وفمها يلتوي بعدم اعجاب: «هل ستعتذرين لي حين يعجز جسدك الضعيف هذا عن حمل الأطفال لابني؟»

«انني لا أتزوج طوني من اجل هدف واحد وهو انجاب أطفاله يا سيدة لاكتوس.» ردت نينا بثبات.

«إذن لماذا تتزوجينه؟» سألتها اليونانية ببرود: «لأجل ماله أليس كذلك؟ ثروة والدك تكاد تنضب لذا فكرت بإيجاد زوج ثري لك؟»

ضحكت نينا لهذا رغماً عنها وردت برقة: «لماذا؟ ألا يسعك التصديق ان ابنك قادر على جعل المرأة ان تحبه لشخصه فقط؟»

اجفلت صوفي قليلاً وقالت بكبرياء: «بإمكان طوني الحصول على أي امرأة يريد.»

طأطأت نينا برأسها وقالت: «لأن ماله هو ما يجذبهن إليه.» أحست نينا بغضب، متسائلة عن الشيء المميز بأهل اليونان ليعتبروا أنفسهم أرقى من بقية الشعوب؟

«ليس هذا ما قصدته على الاطلاق.» قالت الوالدة بانزعاج: «عليك أن تفهمي طرق اليونان حتى تفهمي ما الذي فعله إعلان ابني المفاجىء ذاك.» وتابعت ببرود: «كان المتوقع من طوني أن يتزوج من امرأة ملائمة. من فتاة يونانية تضاهي بثروتها وثرائها ثروته وثرائه.»

مثل لويزا الجميلة مثلاً؟ تساءلت نينا فهي تعرف تماماً ثراء عائلة ماندراكي صاحبة اسطول السفن التجارية التي تمخر عباب بحار العالم.

ردت نينا مدافعة: «والدي ليس مفلساً كما تعرفين.»

«نتحدث عن الملايين لا الآلاف هنا يا آنسة لوفل.» تابعت السيدة لاكتوس بازدراء: «نتحدث عن الدم. الدم اليوناني الجيد الذي سيقوي دمنا اليوناني النقي، لا ذاك الشيء الضعيف الذي كنت تتحدثين عنه قبل لحظات، يجب أن تعرفي ما الذي تقومين به بموافقتك على الزواج منه.»

بدأت نينا تشعر وكأنها خادمة تجرأت على التفكير بالزواج من الأمير.

«إذن ما الذي تحاولين التلميح إليه يا سيدة لاكتوس؟ إنني اصطدت ابنك بسبب ماله؟»

علّقت صوفيا بالقول: «آه. أرى انك بدأت تفهمين.»

قالت نينا: «ان سعادة ابنك معروضة للبيع والشراء كأي سلعة في السوق؟ أنت محقة سيدة لاكتوس، الآن بدأت أفهم.»

«ليس هذا ما قصدته.» احتجت صوفيا بنفاد صبر وقد بدت منزعجة. وكانت نينا غاضبة كفاية لتستمتع بمرأى انزعاجها ذاك.

«لا زلت واقفة؟» علق صوت عميق فجأة فأجفلت المرأتان واستدارتا لتجدا طوني يدخل الغرفة مغلقاً الباب خلفه.

سأل وقد بدا غير مدرك لتوتر الأجواء داخل الغرفة: «لم تشربا شيئاً بعد؟»

دخل وابتسم للمرأتين: «آسف لتأخري. كانت مسألة سخيفة لكن مثل هذه المسائل هي التي تأخذ كل الوقت معظم الأحيان وأكثر مما تستحق. تريدين شراب الكرز يا والدتي؟»

كانت أمسية مريعة ولم تصدق نينا حين حانت لحظة خروجها من منزل طوني ودخولها السيارة مع طوني بطريق العودة إلى منزل والدها.

«انها تكرهني.» أعلنت فور جلوسه قربها.

صحح قائلاً: «ليس كرهاً، بل امتعاضاً جراء عدم سير الأمور وفق ما خططت له.»

علقت نينا: «فتاة يونانية ذات ثروة كبيرة؟»

«أهذا ما قالته.» قال ذلك وهو يبتسم بمرح مما زاد من غيظ نينا وتابع: «سترضى بالأمر الواقع في النهاية. امنحيها بعض الوقت فقط.»

«إن كان من المفترض أن يشعرني ما تقوله بالراحة فاسمح لي أن أخيب ظنك. لا أريد موافقتها.»

كان ضغط الأمسية بأكملها قد أرهق أعصابها. أمسية كان عليها خلالها تحمل تعليقات والدته الجليدية الباردة دون امكانية الرد. وها هي الآن ترمي بكل الردود الجارحة على رأس ابنها الجالس قربها.

تابعت نينا بغضب: «ولا أريد موافقة أي شخص آخر. سأتزوج منك لأننا عقدنا صفقة معاً لا طموح لدي إطلاقاً لأن أكون نور عيني والدتك.»

«أو عيناي أنا على ما أظن.»

«أنت تريدني وستنالني. لا تتوقع أكثر من ذلك أبداً.»

«آه، بل سأتوقع أكثر بكثير من ذلك ايتها المشاكسة الصغيرة.»

• • •

اهتزت الطائرة قليلاً عندما انزلت عجلاتها استعداداً للهبوط، وتحركت نينا بتململ بعد ان استيقظت من غفوتها. كانت رحلة طويلة ومتعبة أنهت يوماً طويلاً ومتعباً.

تزوجا في الصباح في معبد صغير بعيد عن منزلها. ارتدت ثوب زفاف أبيض تقليدي من الساتان والدانتيل وكانت طرحتها من التول الأبيض الجميل. ترقرقت الدموع في عيني والدها وهو ينظر إليها بينما كانت تنزل السلالم. كان يتكيء على العكازين اللذين صمم التخلي عنهما فور وصولهم إلى المعبد، لم تكن صحته قد أصبحت جيدة بعد، كما قال الطبيب مارتن الذي أصر على عودته إلى ملازمة السرير فور انتهاء مراسم الزواج.

قال بتأثر: «آه يا ابنتي. تبدين كوالدتك تماماً.» وتساقطت الدموع من عينيه وهو يقبلها على وجهها.

حضرت والدة طوني الاحتفال ولم يلين موقفها ولا قيد أنملة عما كان عليه ليلة لقائهما الأول. كانت لويزا هناك أيضاً فقد دعتها صوفيا، كانت نينا متأكدة انها فعلت ذلك لإغاظتها، وقد شعرت بلسعات نظرات لويزا على ظهرها وهي داخلة المعبد لإعلان قسم الزواج ولأخذ يد طوني الواقف هناك بانتظارها.

بدا فاتناً ببذلته الرائعة وقميصه الأبيض تقلصت نظرته على وجهها، وفرحت هي لوجود الغلالة الخفيفة على

وجهها كي تخفي البريق الدافىء الذي لمع داخل عينيها وهي تنظر إليه فيما قلبها يسرع إليه.

كانت يده دافئة وثابتة فوق يدها المتجمدة، بينما أصابعه تطبق على أصابعها بتملك.

كانت صديقة واحدة تسير خلفها وهي الوحيدة من صديقاتها في معهد الموسيقى واللواتي نبذنها لتركها جيسون.

«لا مجال للمقارنة.» قالت كارلا لها بعد مقابلتها لطوني في حفل العشاء الذي أصر والدها على إقامته قبل أيام قليلة.

«من التي ترغب بجيسون بعد رؤيتها لهذا الوسيم؟» تابعت كارلا وعيناها ترمقانه بإعجاب: «هذا كتذوق الكافيار بعد التعود على أكل سمك التونا. لا مجال للمقارنة إطلاقاً. نينا أيتها المحظوظة.»

لكن نينا لم تكن تشعر انها محظوظة، كانت تشعر بالحزن العميق وبالذعر مما سيحدث بعد هذا الاحتفال. خلال الأسابيع القليلة التي سبقت الزفاف عاد طوني ليصبح ذاك الغريب المتباعد الذي عرفته أثناء مرض والدها. كان يزورها، يتصرف بأدب جم ويعاملها برقة متناهية لكنه لم يحاول ولا مرة واحدة أن يقبلها أو يعانقها.

«لن تتمكني أبداً من الاحتفاظ به.» قالت لها لويزا بثقة وهي تنفرد بها بإحدى الزوايا: «فلست من النوع الذي بامكانك ارضائه.»

«سأتعلم ان أكون.» ردت نينا رافضة أن تظهر للويزا مدى تأثرها بصدق ما قالته.

«أظن ابني ارتكب أكبر غلطة في حياته اليوم، اخبرتها حماتها ببرود: «وأنا أحمّلك المسؤولية الكاملة بهذا.»

«اعتن بابنتي.» أمره والدها بحب حين استسلم أخيراً لالحاح الطبيب مارتن بعودته للمنزل. ثم تابع يقول لابنته: «وتذكر الأحفاد الذين وعدتني بهم.»

تعكرت ملامحها وهي تراقب الطبيب مارتن يقود والدها بعيداً.

«اتركي للرجل المريض أحلامه.» تمتم طوني بهدوء مدركاً سبب تقطيبها: «أليست هذه أجمل أمنيات الآباء حين يتزوج ابناؤهم؟ حتى والدتي نفسها لديها نفس البريق المتأمل في عينيها.»

نظرت نينا إلى والدته المقطبة قربهما وفكرت ببرود انها لا تأمل بل تتمنى أمور اخرى، وسمعته يتابع: «ما خسرته والدتي في المباراة الرئيسية ستعوض عنه في الجولات الثانوية.»

«ولهذا تواظب على معاملتي كالمصاب بالبرص.»

خفف عنها قائلاً: «انتظري لحين مجيء الأطفال. ثم ستلاحظين كيف ستتجاوب معك.»

«أي أطفال؟» ردت بحنق وقد توتر جسدها لمجرد التفكير بذلك.

«الذين سننجبهم.» وعدها فارتعشت لعمق نبرته ثم أضاف برقة: «أخائفة يا نينا؟»

أرادت نكران ذلك لكنها لم تستطع فاكتفت بالقول: «يجب ان ابدّل ملابسي...» وابتعدت عنه لكن صدى ضحكته لاحقها.

«كدنا أن نصل.» أعادها الصوت العميق قربها إلى الحاضر فاستقامت في جلستها وتثاءبت بنعاس وهي تنظر من نافذة الطائرة وسمعته يتابع: «الجزيرة صغيرة، لكنها كبيرة كفاية لإنشاء مدرج هبوط.»

«هل لها اسماً ما؟» سألت وهي ترى القطعة الصغيرة وسط بحر ايجه، كانت الساعة تشارف السابعة مساء وكانت شمس المغيب تحول كل شيء في الأسفل إلى اللون الأحمر الناري.

«انها جزيرة لاكتوس بالطبع.» قال باستمتاع وبعض الكبرياء: «انها ملكاً للعائلة منذ أجيال. الجزيرة بمثابة منزل لي، المنزل الحقيقي الوحيد الذي عرفته وأنا طفل لأنني كنت أقضي كل عطلات المدرسة فيها.»

حياة التجوال لابن رجل دبلوماسي، تذكرت نينا وهي تشعر بتعاطف غريب مع الفتى الذي كان يشعر بالوحدة دون شك جراء نمط حياة التنقل ذاك.

«هناك جزيرة صغيرة أخرى...» وانحنى نحوها كي يشير إلى مساحة صغيرة أخرى بالأسفل ذات مبان بيضاء كثيرة وتابع: «انها جزيرة صغيرة بدورها وتعتمد كلياً على مواردها الذاتية وعلى القارب الذي يتوقف على شاطئها يومياً أثناء رحلته لنقل المؤن لكل الجزر الصغيرة هنا.»

«ألا يقصدها السواح؟» سألت بصوت حاولت جاهدة إخفاء ارتعاشه لتأثرها الشديد بقربه منها وبذراعه التي كانت تضغط برقة على يدها.

ابتسم وقال: «لا نشجع السياحة في هذه الجزر. فللسواح

كفايتهم على شواطىء بلادنا حيث يتمتعون بالشمس وبالآثارات التاريخية، وليس لدينا هنا ما نقدمه لهم. نحن شعب بسيط وطيب القلب يا نينا أعط اليوناني منزلاً متواضعاً وزوجة فاضلة ومكان يقابل فيه جيرانه مساء لاحتساء الشاي ولن يطلب اي شيء آخر.»

ارتجت الطائرة بتلك اللحظة بعنف دافعة طوني عليها وامتدت يده سريعاً ولا شعورياً لحمايتها من سقوط محتمل لم يحدث لكنه زاد من شعورها بالارتباك لالتصاقه الشديد هذا بها. نظر إليها والشوق يلمع في عينيه فارتعشت بشدة.

«وذاك المنزل الكبير الذي أراه أعلى التلة؟» سألت أول سؤال خطر ببالها لتشتيت اللحظة الحميمة بينهما، متمنية ألا يتجاهل سؤالها ويقبلها كما كان سيفعل وإلا فما الذي سيحل بها؟

ابتسم وكأنه فهم لعبتها الصغيرة وعاد إلى كرسيه معلناً: «انها فيللتنا وهي ليست بمتواضعة وعلي قول هذا قبل أن تقوليه أنت.»

حدقت نينا بالفيللا الجميلة ذات الطابقين في الأسفل بجدرانها الحجرية البيضاء وقرميدها الأحمر ونوافذها الضخمة وشرفاتها المزركشة الواسعة ورأت مربعاً ضخماً أزرق اللون وسط حديقتها الخلفية التي تتصل بالبحر.

«لا مشكلة بالنسبة لمياه الشرب على الجزيرة.» قال طوني وكأن عليه فقط النظر إليها لقراءة أفكارها: «ففيها ينابيع طبيعية تؤمن لنا أكثر من حاجتنا وتبقي الأراضي حول الفيللا خضراء منتعشة حتى في حر الصيف.»

لامست عجلات الطائرة أرض المطار الأمر الذي نبّه فجأة نينا.

«المكابح بدائية، لكنها فعالة.» قال معلقاً على توقف الطائرة السريع.

نهض عن كرسيه مبتسماً ومادّاً لها يده. أمسكت بها وهي تشعر بالجفاف الشديد في حلقها. كان لا يزال يرتدي بذلة الزفاف باستثناء ربطة العنق والسترة، فبدا أكثر جاذبية دونهما. أدارها لتسير أمامه وذراعه على خصرها بتملك فيما كانت المضيفة تفتح باب الخروج. توقفت نينا على درجة السلالم الأولى متفاجئة بموجة الحر التي لامست وجهها.

استفسر طوني من خلفها: «هل أنت بخير؟»

«أجل.» قالت بهمس وقد بدا صوتها غريباً حتى على أذنيها: «لكني مندهشة لشدة حرارة الشمس حتى بمثل ساعة الغروب هذه.»

«أجل.» تمتم وذراعه تشتد حول خصرها: «علينا الانتباه من احتراق بشرتك الرقيقة هذه يا عزيزتي. لا أحتمل رؤيتها تتشوّه من جراء جو اليونان الحار.»

«سأنتبه لهذا.» وعدت وهي تنزل الدرجات مبتعدة عنه. تركها تذهب فقط لحين وصوله أسفل السلالم، ثم أحاطها بذراعه وأدارها لمواجهته.

«أهلاً بك.» قال ببساطة ثم انحنى وقبلها.

لم تكن قبلة حارة أو حتى قبلة ينتظر منها تجاوباً لكن أنفاسها كانت متقطعة ووجنتاها متوردتين، فشعرت بالخجل يغمرها.

«لنذهب.» قال بصوت مبحوح وقادها إلى سيارة

مرسيدس مكشوفة كانت متوقفة تحت شجرة زيتون قريبة. أي خيار آخر لها؟ تساءلت بحزن وهي تسير إلى جانبه، لقد تخلت عن كل خيار لها عندما تسللت إلى منزله في تلك الليلة المجنونة.

«لا ترتجفي كثيراً.» عنفها برقة ويده حول خصرها: «فأنا لن اؤذيك.»

«لم اعتقد انك ستفعل.» أنكرت وهي تنظر إليه للحظة.

«كاذبة.» كان كل ما قاله، وأبعدت نظرها فوراً عنه وعن السخرية المرحة داخل عينيه.

أجلسها في مقعدها قبل أن يعود إلى الطائرة حيث كان الكابتن والمضيفة ينزلان أمتعتهما، تكلم الثلاثة معاً لبعض الوقت، تصافحوا ثم حمل طوني حقيبتيهما وعاد ليضعهما في صندوق السيارة الخلفي. جلس قربها ثم انطلق بالسيارة. راقبت نينا كل هذا وكأنها منومة مغناطيسياً، تشاغلت بالنظر إلى يديها كي تتحاشى النظر إليه والتمعت أمام عينيها جوهرة خاتمها تحت أشعة الشمس الغاربة، وكان وجود خاتم الزفاف الألماسي في يدها الأخرى لا يزال غريباً عليها، فتذكرت هنا خاتم جيسون الصغير وغمرها حزن جديد.

المسكين جيسون لقد عاملته بشكل سيء لدرجة انها لا تعتقد ان ضميرها سيسامحها على ذلك يوماً، لكنها اعترفت لنفسها انها حتى ولو وجدت طريقة تمنعها من الزواج من الرجل الجالس قربها لما فعلت، فقد أفسد طوني أي فرصة لها مع أي رجل آخر غيره، انه يفجر مشاعرها بطريقة لم تعرفها من قبل أبداً.

تلاعب الهواء الدافىء بشعرها المنسدل على كتفيها ورفعت رأسها للاستمتاع بهذا الهواء.

إذن هذا ما الزمت نفسها به، منذ لحظة وضعها خاتمه في اصبعها. زوج لا تدري انها قد تكون واثقة تماماً منه يوماً، وليلة زفاف ستغير مجرى حياتها باكملها.

«بانتظارنا حفل استقبال صغير لحظة وصولنا.» قال وقد اخترق صوته أفكارها: «أهالي القرية سيحتفلون بنا، فهذه عادة وتقليد لديهم للترحيب بك بصفتك زوجتي.»

استدارت لتنظر إليه، كان شعره الأسود يتطاير قليلاً مع الهواء ووجهه يبدو متكبراً بعض الشيء لكن أكثر وسامة مما سبق لها أن رأته، فيما شمس بلاده اليونانية الغاربة تتألق على بشرته البرونزية.

استدار ليجدها تحدق به، فابتسم بخبث وتحداها قائلاً: «أتظنين انك ستكونين قادرة على اعتياد ذلك؟»

«لا أعرف.» أجابت وهي تنظر بعيداً عنه. «أتظنني قادرة على ذلك؟»

«أظن هذا.» قال والسيارة تصعد في طريق تحفه الأشجار الخضراء الضخمة عن الجانبين: «قد تبتسمين لهم ابتسامتك الصغيرة الساحرة والخجولة تلك وستجدينهم قد اعجبوا بك، تماماً كما حدث لي حين رأيت تلك الابتسامة للمرة الأولى، وان لم ينجح ذلك...» تابع فيما شهقت هي لتوقف السيارة المفاجىء: «فإن شعرك الرائع سيقوم بالمهمة.»

«لماذا توقفنا؟» سألت لكسر طوق التوتر الذي بدأت تشعر به.

قال: «تعالي.» وقفز من السيارة متوقعاً منها فعل المثل، ففعلت والتقيا أمام مقدمة السيارة، أمسك طوني بيدها وقادها إلى جانب الطريق ثم توقف تاركاً لها المجال للوقوف أمامه.

قال: «انظري. أظنك ستفرحين لرؤية هذا، ولن تتسنى لنا فرصة أفضل من هذه للمرور بهذه البقعة بمثل هذا الوقت بالذات.»

«آه...» هتفت بدهشة وهي ترى روعة جمال بحر ايجه ساعة الغروب. بدا وكأن كل شيء حولهما يتورد خجلاً من الشاطىء الصخري الذي يشكل اطراف الخليج إلى الرمال الذهبية على الشاطىء في الأسفل. والظلال الحمراء الداكنة ترتفع هنا وهناك لتشكل لوحة فنية رائعة فيما الكرة النارية تغرق ببطء في ذهب الأفق البعيد.

«أبولو.» قال برقة وذراعه يحيط بخصرها ويضغط عليه برقة.

«ينضم إلى زيوس في السماء مودعاً بوزيدون. انه لقاء رائع، أليس كذلك؟»

طأطأت برأسها وجسدها يتكىء لا شعورياً عليه فيما تابعا مراقبتهما لغروب الشمس البطيء خلف البحر، فيما الأضواء والألوان تتماوج وتتناغم معاً بروعة أخاذة.

ثم لم يعد المنظر الطبيعي الخلاب أمامها هو ما يجذب انتباهها، بل الرجل الذي يده تلامس ذراعها.

«جميل.» تمتم بصوت ابح.

«أجل.» همست وهي تدير رأسها لتبتسم له: «انه...» لم

تستطع متابعة الكلام فقد ماتت الكلمات على شفتيها حين رأت حرارة نظرته. كان ينظر إليها لا إلى المغيب.

«أنت جميلة يا نينا.»

«نينا...» همس، ثم أحست وكأن الأرض توقفت عن الدوران.

كان الظلام قد خيم على كل شيء، وتعثرت نينا قليلاً فاشتدت قبضته حولها وهمس: «لنذهب للمنزل.»

الفصل الثامن

لم يتكلم طوني أو نينا والسيارة تصعد الطريق الملتوي المؤدي لقمة التلة، وكأن أحدهما لم يكن قادراً على ذلك.

كانت نينا تشعر بالتوتر داخله وكان هذا ما تشعر به بالضبط وهي تجلس بسكون قربه دون أن تعرف ما الذي عليها فعله للتخفيف من هذا الضغط الهائل بينما الخوف يعتريها مما قد يحدث حين يقرر ذلك. دارا حول منعطف في الطريق، كانت أضواء السيارة الأمامية تصنع دائرة من الضوء الابيض عبر الظلام المسيطر على كل شيء مما زاد من شعور نينا بالعزلة. ثم ظهرت الفيللا فوراً وجدرانها البيضاء تلمع بتأثير ضوء السيارة، كما وبتأثير الاضواء المنبعثة من نوافذ الفيللا. كان هناك اثنا عشر شخصاً على الأقل على شرفة المدخل ودرجها. شهقت نينا برقة، انها المسألة الثانية التي عليها مواجهتها بعد سلسلة مواجهات في هذا اليوم. شدت يديها حول حقيبتها وصممت على السيطرة على أعصابها قبل أن يلاحظ أحد عليها ذلك.

أوقف السيارة أسفل الدرجات المؤدية الى الفيللا متجاهلاً كل الوجوه المترقبة على الشرفة وتمتم: «لحظة من فضلك.» فيما غادر هو السيارة واستدار ليفتح لها الباب بنفسه وينحني ليمسك بذراعها وليساعدها على الترجل.

لم تنجح بتهدئة أعصابها المضطربة، فقال لها بخفة هو

يساعدها على النزول: «كوني شجاعة هذا لن يستغرق سوى لحظات، وبعدها سنكون وحدنا.»

ايفترض مما قاله أن تشعر بالارتياح؟ لم تكن واثقة مما كان يخيفها أكثر، فكرة مقابلة كل هذه الوجوه الداكنة التي كان يقودها إليها، أم ذاك الانفراد الذي تحدث عنه ببساطة.

بدأ يتكلم باليونانية وابتسامته تنير وجهه بينما ذراعه حول خصرها صاعداً بها الدرجات المؤدية إلى الشرفة نحو امرأة سمينة ترتدي ثوباً أسود اللون كانت تبتسم لها بحرارة.

اخبرها طوني: «انها آغنس، مدبرة منزلنا والمرأة التي اعتنت بي أفضل عناية في صغري أثناء زياراتي الكثيرة للجزيرة.»

ابتسمت نينا بخجل لآغنس ثم وجدت نفسها بين ذراعي المرأة السمينة التي عانقتها بترحيب حار بينما يدها تربت على ظهرها النحيل بحب وسيل من الكلمات اليونانية يندفع من فمها.

ثم كان هناك ليون، جورجيو، آثين... بدأ عقلها يتلبد وهي تنظر من وجه لآخر فيما الجميع يبتسمون لها بحرارة وترحاب، وكل نلك لمقام طوني الرفيع في الجزيرة. كان الرجال يبتسمون لطوني ويربتون على كتفه فيما النساء تعانقنه بحب واحترام. تجاهلت تورد خديها فيما العيون تدرسها بعمق وتفصيل ثم لا تلبث ان تظهر حرارة في استقبالها والترحيب بها بطيبة وسعادة لم تشعر نينا بها من قبل.

ثم قال طوني شيئاً ما بلهجة آمرة مما جعل الجميع يضحك ويبدأ بالمغادرة سريعاً باستثناء آغنس التي قررت

الاهتمام بنينا كما يبدو، ويدها الممتلئة تمسك بذراعها بحب وفمها ينطق بكلمات التحبب اليونانية وبكلمات آمرة لطوني فدهشت نينا لأنها وجدته ينفذ على الفور.

دخلت الفناء المبرد وكانت آغنس تردد: «تعالي، تعالي...» وهي تحثها على السير إلى الطابق العلوي حيث فتحت باباً وتابعت: «تعالي...» وكانت هذه هي الكلمة الانكليزية الوحيدة التي تعرف. دخلت آغنس بعد نينا مباشرة وذهبت إلى السرير العريض وأخذت تربت على فراشه متمتمة شيئاً ما باليونانية.

«ما تحاول قوله...» قال صوت كسول مستمتع من خلفها فاستدارت نينا لترى طوني يضع الحقائب على الارض ويتابع مبتسماً: «هو أن هذه غرفة نومنا. وهي لا تحاول دفعنا مباشرة إلى سرير الزوجية.»

هل أخبرته ملامحها المذعورة بهذا القدر؟ احمرت خجلا وهي تبعد نظرها عن الوجهين الداكنين المحدقين بها بابتسامة خبيثة.

تشاغلت نينا بالنظر إلى الغرفة الجميلة حولها بلونها الوردي والأخضر. كان السرير الضخم يتوسط الغرفة بطرازه اليوناني القديم فيما الخزانة الخشبية تغطي أحد الجدران والباب الزجاجي الكبير يحتل ثلث مساحة الجدار الآخر ويطل على منظر طبيعي خلاب استطاعت نينا تمييزه بسبب الاضاءة القوية في الحديقة. كانت الستائر على طرفي النافذة مشغولة يدوياً ورائعة بلونيها الوردي والأخضر.

«غرفة الحمام عبر ذاك الباب.» أشار طوني إلى باب صغير في طرف الغرفة وتابع: «قولي شكراً بلطف لآغنس.»

وجعل المرح في نبرته خديها تتوردان أكثر فأكثر:
«وبعدها سنتركك وحدك كي تبدلي ملابسك.»

استدارت بوجه خجل لمواجهة مدبرة المنزل التي كانت تنظر إليها بترقب.

«كيف أقول شكراً باليونانية؟» سألت نينا، وطوني لسبب ما أثر سؤالها به لأنه لم يجبها على الفور.

«أنت طفلة مفكرة يا نينا، قولي آغنس وستصبح خادمتك طول العمر.»

ابتسمت نينا ابتسامة خفيفة ورددت ما قاله طوني لها.

توهج وجه آغنس بابتسامة كبيرة فيما عاد سيل الكلمات ليندفع من فمها مما جعل طوني يضحك بمرح ويترجم:
«تريدني أن أخبرك أنها تعتقدني أكثر الرجال المحظوظين في العالم لايجادي زوجة رائعة مثلك.»

بدأت نينا تتساءل سواء فيما لو ستختفي حمرة الخجل من خديها أبداً فقد عادت وشعرت بالحرارة تشعل وجهها وهي تقول بخجل: «شكراً لك، يا آغنس.»

رددت وعاد سيل الكلمات اليوناني ليندفع من فمها.

ضحك طوني مجدداً وعلق بمرح: «تقول آغنس انها ستوفر عليك احمرار خديك وسترانا معا في الصباح.»

غادرت آغنس الغرفة تاركة إياها مع طوني.

كانت أعصابها متوترة بشدة وعلى حافة الانهيار، لم تستطع النظر إليه فيما استمر الصمت بينهما. بعد لحظة، تنهد برقة وتحرك بعيداً نحو الباب، فانتظرت بترقب مغادرته الغرفة كما وعد.

لذا، وحين لم يفعل بل أقفل الباب من الداخل، كادت أن تبكي.

«لا يا طوني أرجوك...» بدأت وهي تتراجع رغم أنه لم يقترب منها.

«لا يا طوني أرجوك، ماذا؟» رددت بصوت ابح، كانت عيناه تشتعلان بحرارة، وبدا كرجل حاز على ملكية جديدة ومتشوقاً لمعرفة كل شيء عنها.

«لا تغيظني.» همست وهي تبعد نظرها عنه: «قلت انك ستغادر الغرفة كي تمنحني وقتاً...»

«لتغيري ملابسك.» أكمل ما كانت تريد قوله وتابع: «أجل قلت ذلك. صحيح؟» وبدا نادما على جملته تلك وقرر: «قبلة. قبلة واحدة صغيرة وسأتركك وحدك بعدها يا نينا أعدك بذلك.»

تسارعت نبضات قلبها عندما امرها: «تعالي إلى هنا.»

اجابت متلعثمة: «أرجوك...»

«الآن.»

لم تتجرأ على معاندته وهو بمزاجه هذا، فتقدمت منه بخطوات متعثرة وبطيئة نحوه.

قال ويده تلامس وجهها: «يا لشدة خجلك، يا لبراءتك وحلاوتك. يبدو من الصعب تجريدك من كل هذا. لكني سأجردك من ذلك.»

«لست كذلك.» أنكرت وهي تحبس أنفاسها وهو يشدها إليه.

قال بسخرية: «لا؟ خبرتك المعدومة لن تخبرك عن نوع النساء اللواتي ستصبحين عليه ايتها الطفلة.» أحاط خصرها بذراعيه متابعاً: «أنت طفلة لا فكرة لديها اطلاقاً عن مدى جمالها.»

«لا.» هتفت وقد أخافتها كلماته وحاولت الابتعاد عنه.

«إهدإي.» تمتم وهو يبعدها عنه: «لست سيئاً لهذا الحد.»

بعد ان غادر الغرفة، جلست نينا على السرير بوهن. إنه يريدها بشدة يصعب عليه معها أن يكون لطيفاً ورقيقاً. فجأة شعرت برغبة في الصراخ، في الهروب لكن لم يعد من مفر الآن لا منه ولا من جزيرته. إنها متزوجة الآن من رجل تخاف منه بشدة، إنها متزوجة من رجل لا يحبها رغم أنها بدأت تعتقد انها تكاد تقع في حبه إن لم تكن قد وقعت وانتهت. كما انها متزوجة من رجل قد يمل منها في أية لحظة ويتركها وبهذا سيدمر كل حياتها.

نهضت عن السرير وسارت إلى الباب الزجاجي الكبير ومنه إلى الشرفة الخارجية. كان الهواء أبرد الآن تنهدت بعمق واتكأت على الإطار الحديدي الابيض بينما نظرها يتأمل السماء المرصعة بالنجوم الرائعة.

كانت هذه ليلة جميلة يقطع صمتها فقط صوت صرصار الليل في أشجار الحديقة بالأسفل.

إنها هنا زوجة رجل دماؤه حارة كالشمس التي تغمر هذه الجزيرة بالحرارة اللاهبة يومياً. وخلف تلك السماء تعيش الاساطير اليونانية القديمة. فكرت وهي تسرح بعالم الخيال، كيف ستتأقلم الفتاة الانكليزية اليافعة مع أحد ابناء الأساطير اليونانية؟

ابتسمت نينا لفكرتها هذه وعادت إلى غرفة النوم. هي تعرف تماماً انها ستتأقلم، بل ستجبر على ذلك. تنهدت بعمق ودخلت غرفة الحمام.

• • •

وجدت طوني ممدداً باسترخاء على كنبة كبيرة قديمة الطراز في المطبخ يحتسي القهوة ويقرأ جريدة يونانية.

رفع نظره إليها وابتسم حين دخلت، ثم عاد إلى جريدته.

قال دون ان ينظر اليها: «هناك المزيد من القهوة إن شئت.»

سألت بارتباك: «هل... من شيء بارد؟»

«بالطبع. هناك في الثلاجة.» وأشار لها بيده إلى مكانها فيما عيناه على الجريدة: «تناولي ما يحلو لك.» وجدت ابريقاً من عصير البرتقال الطبيعي فسكبت لنفسها كوباً منه، وشعرت بالانتعاش بعد ان شربت القليل منه.

نظرت إليه وتسارعت نبضات قلبها لرؤيته في جلسته المريحة تلك فيما هو غارق بما يقرأ. عنفت نفسها لتأثيره الهائل عليها وجاهدت لتتصرف كالراشدين لا كالحمقى. أخذت الابريق والكوب ووضعتهما على الطاولة قبل أن تجلس على الكنبة الأخرى ثم علّقت: «يبدو ان كل شيء مرتباً تماماً.»

رمقتها عيناه بنظرة سريعة ثم عادتا إلى الصحيفة: «كانت آغنس لتشعر بالخيبة لو أنك قلت عكس ذلك.»

رفعت الابريق وسكبت لنفسها كوب عصير آخر: «أكانت لتعيش هنا عادة لو أننا لم نكن... لم نكن...؟»

«لدى آغنس منزلها الخاص على بعد عشر دقائق من هنا.» أخبرها وهو يرشف قهوته ليعود بعدها إلى صحيفته. احتست نينا جرعة من كوبها وهي تفكر رغماً عنها بمدى وسامة الرجل الجالس أمامها، وكأنها عاجزة عن ابعاد نظرها عنه.

«لكنها تهتم بهذا المكان وكأنه منزلها...»

انتقل إلى صفحة أخرى من الصحيفة وحبست نينا

أنفاسها للنظرة المفاجئة التي رماها بها من فوق طيات الصحيفة وهو يقلّبها، فسارعت بابعاد نظرها عنه. ازداد التوتر من داخلها. لن تتمكن من تحمل هذا، فكرت بيأس.

يبدو مختلفاً تماماً هنا، في بيئته الطبيعية.

«تتباهى آغنس بابقائها المكان جاهزاً على الدوام لاستقبالي مع أو بدون اخطار مسبق... مع إنني أحبذ دوما اخطارها بمجيئي لكن هذا لا يهم...»

ثم فجأة نادى باسمها: «نينا...»

قفزت بعنف وكادت أن تسكب محتويات كوبها ثم ارتفعت نظراتها لتتشابك مع نظراته. بدا متجهما وهو يضع الصحيفة جانباً.

حذرها بهدوء: «إن لم تتوقفي، فستجدين نفسك في ورطة كبيرة...»

أجابت متلعثمة: «أنا... كنت بعيدة مئات الأميال، ماذا قلت؟»

تمتم بهدوء ونظرته تسمرها مكانها: «قلت انتبهي وإلا وجدت نفسك في...»

نهضت عن كرسيها وسألت بصوت مرتعش: «لا ضير من قيامي بنزهة قصيرة بالخارج؟»

بدت كطفل يطلب الإذن وانبت نفسها للفوضى التي كانت تغرق نفسها بها. فهو كان يتكلم بهدوء وثقة كأنه يعرف تماماً ما كان يدور في خاطرها، كان يحاول تهدئة مخاوفها. لكن حتى صوته بدا مختلفاً هنا وكان عمقه أكثر خطورة وأكثر إثارة. بالكاد كانت هي قادرة على التنفس من جراء ما يعتمر بداخلها.

قال برقة: «يمكنك القيام بكل ما تريدين هنا يا نينا. طالما أنك لن تحاولي الهرب.»

«أنا... أنا آسفة.» تلعثمت مجدداً: «الأمر فقط أنني...»

أكد لها بغضب: «إنك بالغة القلق والاضطراب مما سيحدث لاحقاً لدرجة تمنعك من التفكير بأي شيء آخر. اطلب منك ان تهدأي! سبق و أكدت لك أنني لن اؤذيك، لست يائساً لتلك الدرجة.»

لكنه كان كذلك! هي كانت كذلك! ماذا يحدث لها يا ترى؟

تراجعت قليلاً و عيناها لا تفارقان عينيه. شتم طوني، بصوت خافت قبل أن ينهض عن كرسيه ويقول بنفاد صبر: «تعالي إذن. سنخرج للتنزه قليلاً. قد يساعدك ذلك على الاسترخاء. وبعدها سوف...»

«لا. أرجوك.» قاطعته متوسلة.

كان يقف والتجهم يبدو جلياً على قسمات وجهه فيما هو يراقبها بصمت، فرفعت عينين متوسلتين إليه دون أن تدري لما تتوسل. تابع ينظر اليها بتفحص لعدة لحظات أخرى وقد لاحظ ارتعاشها وشحوب وجهها.

«ما الفائدة؟» سمعته يقول وهو يومىء برأسه مقترباً منها وتأوهت نينا لما رأته داخل عينيه.

قال بهدوء: «بإمكاننا القيام بذلك والانتهاء منه. حينها قد تتوقفي عن القفز كفأر مذعور كلما نظرت إليك.»

«لا يا طوني أنا...» رفعت يدها بتوسل وهي تتراجع. أمسك هو باليد المرتجفة وشدها إليه.

«انظري إلى نفسك.» قال بنفاد صبر و شفقة جعلتها راغبة بالبكاء. «لماذا تبدو فكرة أن نصبح شخصاً واحداً رهيبة جداً لك؟»

«أنا متعبة يا طوني.» احتجت بدفاع وعيناها تعكسان خوفها: «أرجوك... دعني... هذه الليلة فقط دعني أنام وحدي كي أتمكن...»

قاطعها بحزم: «لا. التأخير لن يجعل مواجهته أسهل ولو تأجل للغد أو بعد الغد.» ابتسم بتعب متابعاً: «أنت زوجتي الآن والليلة ستعامليني على هذا الأساس.»

«أرجوك...»

«فات الأوان يا حبيبتي المرتبكة. ما كان عليك إظهار اعجابك بي عبر نظراتك لي قبل لحظات.»

حملها بين ذراعيه القويتين وصعد بها إلى الطابق العلوي وذراعيها تحيطان بعنقه.

مع أضواء الفجر الأولى وحين استغرق طوني في النوم ظلت هي مستلقية قربه تنظر إلى وجهه وقد ملأت الدموع عينيها المتعبتين. والآن مع انبلاج فجر يوم جديد عرفت كل شيء وانهمرت الدموع بغزارة على وجهها النضر. إنها تحب هذا الرجل، تحبه بعمق، تحبه بكل ذرة في كيانها وليس بيدها حيلة تجاه ذلك.

جفت دموعها وهي مستلقية قربه وأخذ النعاس أخيراً يهدهد أجفانها ببطء.

ظلا نائمين حتى ساعة متأخرة من الصباح، واستيقظا ليجدا أن هناك صوت قرقعة فناجين ووقع خطوات داخل الغرفة. أخفت نينا وجهها المتورد فيما سمعت آغنس تتمتم سيلا من الكلمات اليونانية للرجل.

«لقد خرجت.» قال بإغاظة حين ساد الصمت أخيراً ارجاء الغرفة.

«هل أنت بخير؟» سألها بقلق عندما لم تعلّق بكلمة واحدة.

«أجل.» ردت قبل أن تخفض نظرها ثانية.

«أنا لم أؤذيك؟»

هزت رأسها نافية.

قال برقة: «لكني صدمتك.»

«آسف.» قال ويده على ذراعها.

ارتعشت ويده لا تزال عليها ثم رفعت إليه عينيها اللامعتين لكن بصمت.

«تباً يا نينا...» همس وهو يشدها أكثر إليه: «أنت تخيفينني.»

الفصل التاسع

كان يفترض بطوني ونينا البقاء في الجزيرة ثلاثة ايام، لكنهما بقيا فيها لشهر كامل سيطر خلاله سلام من نوع خاص بينهما، كما شعرت نينا بغريزتها ان ذاك لن يدوم فور عودتهما إلى الواقع خارج حدود الجزيرة.

لعله شعر بذلك بدوره، لذا قرر تمديد اقامتهما هنا، مع انه كان مجبراً لقضاء بعض الوقت في مكتبه للاهتمام هاتفياً بأعماله وعبر استخدام الكمبيوتر الذي أحضره للفيلا.

تبعا لاتفاق صامت بينهما، لم يفتح احدهما أي من المواضيع التي تهدد بإعادة الامتعاض إلى علاقتهما. فخيوط هذه العلاقة الجديدة بينهما كانت ضعيفة لا تحتمل أي ضغط من المصادر الخارجية والعدائية التي جمعت بينهما في البداية، لازالت موجودة لكن تحت قناع شفاف بانتظار فرصتها للظهور مرة أخرى، وكان هذا يزعجه.

لكن ان تسلم نفسها روحاً وجسداً لهذا الرجل سيكون تصرفاً أحمقاً مع انها كادت ان تفعل ذلك في الليلة التالية لوصولهم إلى الجزيرة، حين قادها ظهراً إلى غرفة جلوس الفيلا واخبرها بصوت ناعم: «كنت ساشتري لك الألماس لكني تذكرت قولك بعدم حبك لارتداء المجوهرات فقلت في نفسي انك ستسعدين اكثر بهذا.»

كان هذا بيانو عاجي رائع وضع في زاوية الغرفة وشعرت نينا بقلبها يمتلىء عاطفة.

«آه يا طوني...» همست، وكان هذا كل ما استطاعت النطق به.

اخبرها: «وضعت واحداً في كل منزل نملكه.» فازدادت خفقات قلبها لكلمة نملكه: «لعلي حرمتك من دراستك يا نينا لكن لا نية لدي بحرمانك من موسيقاك.»

«شكراً لك.» قالت ذلك وعيناها تلمعان بدموع السعادة.

كانت تلك اللحظة الغالية هي التي اوشكت ان تعترف له بها بعمق وقوة حبها له خاصة حين اشتدت ذراعيه حولها وتمتم بحرارة: «اريدك ان تكوني سعيدة معي.» وكأن هذا اهم عنده من أي شيء آخر في العالم. لكن حيث رفعت نظرها اليه لتنطق الكلمة المصيرية التي تتراقص على طرف لسانها رأت ذلك البريق داخل عينيه قبل ان يحملها ويعود بها إلى غرفة النوم. ماتت الكلمة على شفاهها حينها وقد ادركت وضوح مشاعره.

انه يريدها باي وقت ودوماً ولم يخف رغبته بها على الاطلاق مع مرور أيام هذا الشهر بل على العكس كانت تزداد تحرقاً وتظهر معها طبيعته اليونانية المتملكة الغيورة مع كل ابتسامة.

ثم جاء اليوم الذي ظهر به شيئاً جديداً لم تكن تتوقعه من رجل مثل طوني لاكتوس الذي وجد نفسه الآن مع امرأة ادركت فجأة قوة جاذبيتها وتأثيرها عليه. بدأت تغيظه بذلك وهي تشعر بالسعادة لإنجاز هذه الانتصارات الصغيرة عليه بمجرد نظرة منها أو تعليق مثير. كان قلبها يعنفها على ما تفعله لكنها لم تستطع ردع نفسها عن التصرف بمشاكسة لعلمها ما ستكون عليه النتيجة.

رآها تحادث بعض الصيادين في احد الأيام، كانت
تركته في الفيلا يعمل داخل مكتبه فيما كانت هي تتمرن
كعادتها على البيانو، حين شعرت فجأة برغبة في التنزه
على شاطىء البحر عارية القدمين. سارت على الشاطىء
قرب الفيلا أولاً ثم قادتها قدماها إلى القرية حيث
شاهدت منازل الصيادين الصغيرة المتناثرة على طول
الشاطىء.

الأرجح ان عدم سماعه للموسيقى التي تعزفها، هو ما
دفعه لإدراك عدم وجودها في المنزل. خرج طوني بحثاً
عنها ووجهه هادراً حين رآها. كانت ترتدي احدى كنزاته
القطنية الطويلة فوق ثوب السباحة وشعرها منسدلاً بروعة
على كتفيها وهي تتحدث وتضحك مع الصيادين الذين كانت
مضطرة لاستخدام إشارات يديها كي تتفاهم معهم فيما كل
منهم يجاهد باستخدام الكلمات الانكليزية القليلة التي
يعرفها.

«لا يؤمن جانبك ببقائك مع أي رجل.» قال وهو يبعدها
عن الصيادين الذين لحقتهما ضحكاتهم المغيظة.

«لم لا؟» تحدته وهي تشعر بالسعادة لغيرته عليها.

«اتعتقدني سأحاول معهم على الهروب منك؟»

«لن امنحك ابداً الفرصة لمحاولة ذلك.»

«إذن، فليكن بعونك حين نعود الى الحضارة.» قالت
تغيظه وهما يسيران نحو الفيلا. «الا بالطبع ان كنت تخطط
لحبسي في غرفة مظلمة لن تخرجني منها الا عندما يحلو
لك.»

«قد لا اسمح لك بمغادرة هذه الجزيرة ابداً.» هددها وهو

يتوقف وينظر اليها بكبرياء والتي صارت تعرفها وتعرف
انه يستخدمها حين يرغب باخافتها.

«لكن ذلك يعني تركي وحيدة مع كل اولئك الصيادين ذوي
الدماء الحارة.» ذكرته بصوت لطيف وراقبت بذهول البريق
داخل عينيه.

«سأقتلك ان نظرت إلى رجل آخر. أتفهمين؟»

«حاضر سيدي.» قالت بسخرية مرحة وهي تبتسم
وشعرها يتطاير.

«سأنال منك.» قال بأنفاس متقطعة وهو ينظر اليها:
«ايتها المغيظة الصغيرة.» حملها إلى داخل الفيلا ثم إلى
غرفتهما.

سجن نفسه في مكتبه بقية النهار، ولم تره الا عند مغيب
الشمس. عاقبته هي بعدم العودة للعزف على البيانو تاركة
الفيلا غارقة في صمت ثقيل، لكنها لم تغادر الفيلا ثانية
ذاك النهار. ظل التوتر مسيطراً على الأجواء بينهما حتى
وهما يتناولان طعام العشاء. فقد صمتت نينا متسلحة
بكرامتها وسكت هو متسلحاً بعجرفته. عرفت انها لن تتمكن
من اختراق قناعه هذا حتى ولو ارادت، فهي لن تفعل.
وانسحبت بهدوء بعد تناول الطعام إلى غرفة النوم.

للمرة الأولى منذ شهر استلقت في السرير الواسع
وحدها.

وردتهما في صباح اليوم التالي مكالمة هاتفية حطمت
آخر أمل لها بحل الخلاف البسيط الأول الناشىء بينهما.

كانت جالسة على الشرفة تحتسي شراب البرتقال
المنعش الذي اعدته آغنس حين أتى بحثاً عنها. أحست

بالحذر لحظة جلوسه قربها بينما أمسك يديها بين يديه.

بدأ بهدوء: «نينا...؟»

«ماذا حدث؟» سألت بشهقة وتوسعت عيناها بخوف مترقب لما ستسمعه.

«انه والدك.» قال برقة: «لقد تعرض لنوبة قلبية أخرى.»

عادا إلى لندن في طائرة خاصة وطوني يساندها بهدوء تاركاً إياها غارقة في الصمت بانتظار انتهاء رحلة العودة. لم يمت جوناس بعد لكنه كان شديد الإعياء.

وصلا إلى منزل والدها مع ساعات الغروب الأولى في امسية باردة من امسيات شهر ايلول (سبتمبر). ارتجفت نينا قليلاً للاختلاف الحاد بين درجة الحرارة في اليونان وتلك في انكلترا. تركت جانب طوني لحظة دخولهما المنزل مسرعة إلى غرفة والدها وكاد يغمى عليها لرؤية شحوبه ووهنه.

لحق بها طوني بخطوات ابطأ ووجدها منحنية قرب سرير والدها كما سبق ورآها مرة من قبل ويد جوناس بين راحتيها، بعد قليل سحب طوني الكرسي وقربه منها حاثا إياها بلطف لأن تجلس عليه. لم تفعل فتركها وعاد بعد قليل بصحبة الممرضة التي عينها الطبيب مارتن لملازمة جوناس، ثم أخرج طوني نينا رغماً عنها من الغرفة ونزل بها إلى المطبخ حيث أجبرها على تناول بعض الطعام.

قالت بصوت مختنق: «لا يسعني تركه.»

«وهل قلت انني اريد منك ذلك؟» سألها بلطف. «بالطبع مكانك هو بالقرب من جوناس المريض.»

تبخر بعضاً من توتر وجهها الشاحب الذي خسر الكثير من نضارته ورونقه عما كان في الجزيرة.

اصرّ قائلاً: «سأبقى هنا معك بالطبع، لن أواجه صعوبة بإدارة أعمالي من مكتب والدك و...»

قاطعته فجأة: «لا. أنا... انت... لا استطيع.» صاحت وهي تغطي وجهها بيديها المرتجفتين لرؤيتها نظرة ألمه المفاجيء لقولها هذا. «يجب ان تفهم. لا يمكنني ان اكون الشخص ذاته الذي كنت عليه في الجزيرة، لا استطيع.»

احاطها بذراعيه بحنان قائلاً: «لا بأس، فأنا افهم ذلك.»

«آسفة، اعرف ان هذا لم يكن جزء من اتفاقنا لكن...»

«عم تتكلمين؟» قاطعها بحدة وهو يبعدها عنه وينظر إلى وجهها بعبوس: «انت زوجتي! لا مجرد شيء اشتريته ودفعت ثمنه لأجل متعتي فقط.»

«انا...» بدأت ثم صمتت لأنها تعتقد نفسها ما قاله حقاً.

تابع يقول: «احياناً يا نينا، بامكاني ان اشعر بالاحتقار تجاهك. استطيع ان احتقرك.» ثم استدار مبتعداً عنها.

ارتجفت نينا مدركة انها قد آلمته لذا لم تضف شيئاً، ماذا بإمكانها ان تقول؟ فهي لا تزال تعتقد انه اشتراها.

«سأنصاع لرغباتك دون شك.» قال ذلك بصوت متجهم الأمر الذي جعل الدموع تتجمع في عينيها. «لكني لن اسمح لك بالبقاء هنا وحدك. سأرسل بطلب والدتي و...»

«لكني لا أريد والدتك هنا.» قاطعته وعيناها جاحظتان، وكأنما أصيب بالجنون. ايعقل انه لا يعي مدى عدم حب والدته لها؟ «انا لا احتاجها.»

نظر اليها بمرارة واصرّ قائلاً: «انت لا تحتاجين لأحد

سب اعتقادك، لكنك رغم ذلك ستنصاعين لرغبتي بهذا شأن.»

لم تمنحها نبرة صوته أي فرصة للمناقشة فجلست على كرسي وتمتمت بتلعثم: «لكن... ماذا ستقول ان وجدتك لا تام... هنا؟»

قال طوني بسخرية: «ستقول ان لدينا علاقة غريبة جداً. كني سأحاول تعزيتها بإخبارها انني انا من احتاج للبقاء بعيداً في منزلي كي أهتم بأمور عملي وليس انت التي لا تطيقين وجودي قربك.»

«لكن ليس هذا ما...»

«تعرفين مكاني ان شعرت ولو للحظة انك بحاجة لي.» قاطعها بجفاء وراقبته نينا بتعاسة وهو يتحرك نحو الباب: «وان لم تفعلي، فسآتي غداً برفقة والدتي.»

وصلت والدته ببرودها وعجرفتها ورغماً عن ارادتها كما كان واضحاً. رحبت نينا بها مبتسمة وهي ترشدها إلى غرفة الضيوف.

احضرت لها مدبرة منزلها رسالة ما لاحقا من ذلك اليوم معتذرة بالقول: «نسيت كل شيء بشأن هذه الرسالة وذلك لذعري الشديد على صحة والدك. لقد وصلت اثناء سفرك.»

حدقت نينا بالخط الذي تعرفه تماماً وترددت قليلاً قبل فتحها، لكنها فتحتها بعد ذلك لتجد نفسها ترتجف باشمئزاز.

كانت رسالة قاسية، مؤلمة ومدمرة. رسالة بث فيها جيسون كل ألمه واحتقاره في حمم حارة من الكره جعلت نينا تتسمر وسط غرفتها مسجونة بهول أكاذيبه، لقد

جرحها بوحشية ولم يجرحها وحدها فقط بل جرح والدها وحتى والدتها، كتب أكاذيب خبيثة عن والدتها، أكاذيب جعلتها تشعر بالغثيان وجردتها من كل ذرة عاطفة كانت تشعر بها نحوه.

وهذا ما جاء في الرسالة: هي ووالدي كانا عاشقين، وظلا كذلك لسنوات قبل ان يكتشف والدك ذلك. كان يعرف انني أعرف ذلك وكان مرتعباً من إمكانية اطلاعي لك على مدى قذارة والدتك ولهذا كان يدفع لي بسخاء كي الزم الصمت، وانت سهلت علي الأمور بمواصلة ضغطي عليه لأنك كنت ساذجة كفاية لتصديق كل كذبة كنت اقولها لك. كان يكره ان يراني معك وان يرى واحدة أخرى من عائلته تخطف على يد احد افراد عائلة هانتر، كان هذا بمثابة شيء عالق وكنت انا استمتع برؤيته يختنق من ذلك.

تركتك والدتك في احدى الليالي للمجيء الينا ولكنها تعرضت لحادث السير ذاك، لم يسامح جوناس والدي على ذلك أبداً. دمر والدي كي يحصل على انتقامه. واردت انا ان أدمره بدوري. كنت لأنجح بذلك لولا تدخل ذاك اليوناني المتعجرف الذي أفسد عليّ كل شيء. اراد شركة لوفل لنفسه لكنني تصديت له. لحين مجيئه كنت انت ملك يميني. تماماً كما كانت والدتك ملك يمين والدي. كانت نكرة من دون والدي. وكان والدي نكرة من دون جوناس لوفل، مات كفاشل تعيس واردت ان يحظى جوناس بنفس النهاية. كان هذا ليحصل له. كنت سأستولي على كل شيء. شركة لوفل، امواله، كبريائه وابنته الغالية.

أردتك ان تعرفي كل هذا قبل مغادرتي النهائية للبلاد.

قع لي رجلك اليوناني مبلغاً كافياً لجعل ذلك ممكناً، لكن
يس ما يكفي لشراء سكوتي. لذا اعتبري هذه هدية وداع لك
يا عزيزتي نينا، الحقيقة مكتوبة باللونين الأبيض
والأسود.

ارتجفت الورقة بين يديها وشعور الغثيان يسيطر عليها. كان هناك المزيد المزيد لكنها لم تعد قادرة على متابعة القراءة، كانت مستعدة لمسامحة جيسون على اي عمل يقترفه بعد القسوة التي عاملته بها، لكنها لن تسامحه ابداً على هذا، على هذه الأكاذيب الخبيثة القذرة التي بدأت تتآكلها حتى وهي ترفضها تماماً.

كرست كل وقتها خلال الأيام القليلة اللاحقة للاعتناء بوالدها، متحاشية صوفيا قدر المستطاع رغم امتنانها لطريقة إدارة حماتها الباردة والهادئة لشؤون المنزل وردها على كافة مكالمات الاستفسار الهاتفية مبعدة عن نينا أي عبء آخر غير اهتمامها التام بوالدها، ولم يكن من الصعب عليها نسيان أمر رسالة جيسون بوجود مشكلة أخرى بدأت تؤرقها. مشكلة بدأت مع رسالة جيسون واستمرت كل صباح مع تقيؤها كلما استيقظت وشعورها بتغيير ما في جسدها. قد تكون حاملاً بطفل طوني ولم تعرف كيف تخبره بذلك.

لقد أصبح الآن الرجل الذي تحبه بكل أعماقها رجلاً غريباً مجدداً. حتى انه كان يتحاشى الاقتراب منها. كيف ستخبر رجلاً كهذا انها ستنجب طفله؟

وهكذا مجدداً اخذت علاقتهما منحى جديداً، كانت تسمع صوت وصول سيارته كل مساء، وكان قلبها ينتفض بسعادة

لكنها لم تكن تبتعد عن سرير والدها حيث كان يأتي طوني إليها ويبقى لدقائق طويلة محدقاً بوجه جوناس الذاوي قبل ان يمسكها بقوة من ذراعها ويخرجها من الغرفة. كان ووالدته يراقبانها كقاضيين ممتعضين وهي تتناول وجبة طعام، وبعدها كان ينهض ويتركهما ليدخل مكتب والدها حيث يهتم ببعض الشؤون قبل ان يغادر المنزل ثانية.

لا قبلات، لا عناق، وجود صوفيا منعها من محاولة رأب الصدع الموجود بينهما، الصدع الذي كان يكبر ويكبر يوماً بعد يوم. كانت تعود إلى غرفة والدها والشعور بالفراغ يملؤها لحين وصول الممرضة التي كانت تأخذ مكانها كي تتمكن من الخلود للنوم، وكان يوم آخر يمر دون مشاركة سرها مع طوني.

بعد مضي اسبوع، بدأ جوناس يظهر بعض علامات التحسن. كان لايزال ضعيفاً جداً، لكنه اضحى بوسعه الرد على اي سؤال يطرح عليه ولم يعد يستلقي دون حراك كما كان حاله سابقاً، اخذ طوني يقضي بعض الوقت معه فيما نينا تستحم وتتناول الغداء، كانت تعود لتجدهما يتحدثان بهدوء وكياسة. لازالت محتارة قليلاً من تقبل والدها السريع لهذا الرجل الذي كان ولأشهر قليلة سابقة يهدد بسلب شركته، والأكثر من ذلك، كانت منزعجة لسهولة تقبلها لهذا الرجل ذاته بدورها.

بعد اسبوع وفيما كانت تعدل من وضع المساند خلف رأس والدها، أمسك جوناس بمعصمها بقوة استغربت لها بالرغم من ضعفه. سأل بحرقة: «انت تحبينه أليس كذلك؟ تحبينه.»

«اجل.» اعترفت بصدق وهي تبتسم لوالدها الذي عاد ليغمض عينيه بإرهاق.

«جيد.» تمتم وهو يترك معصمها: «قلقت لبعض الوقت لاعتقادي انك تزوجت منه لأجلي انا.»

امسكت نينا يد والدها ووضعتها على خدها شاعرة بالغصة، انها على وشك ان تخسره، هي تشعر بذلك، فهو لن يتمكن من النجاة من هذه النوبة الأخيرة.

ارتفعت عيناه المتعبتان اليها ثانية وابتسم لها والدها قائلاً: «انت كوالدتك تماماً... شعرك كشعرها ووجهك الناعم كوجهها ورشاقتك كرشاقتها.»

تمعن في وجهها للحظات قبل ان يتابع: «لكنك اخذت مني عينيك الزرقاوتين.»

«اجل.» قالت بضحكة قصيرة. «وكذلك عنادك ومزاجك.»

جادلها بقوله: «لا اعرف بشأن المزاج. كان لي ولوالدتك ذاك المزاج الحاد. اذكر حين...» واختنق صوته فيما عيناه تتلبدان بذكريات بعيدة وتابع فجأة: «كانت امرأة صالحة يا نينا، تذكري ذلك دوماً احببتها كثيراً مع انني لم اظهر لها ذلك كثيراً.»

قالت نينا: «اعرف.» وهي تقاوم دموعها.

«ربما لو اخبرتها بذلك على الدوام، لما كانت...»

قاطعته قائلة: «اظنها كانت تعرف ذلك. كانت فقط غير سعيدة مع نفسها، هذا كل شيء.»

قال متنهداً: «غير سعيدة، أجل... كانت والدتك مرة كتلة من الحيوية، كانت تعرف المرح والسعادة وتلقي النكات، وعفوية في تصرفاتها. كانت الشر نفسه في بعض الأحيان

وكنت اتساءل ماذا ستفعل بعد تعذيبها لي. كانت الأمور تسير على أحسن حال بيننا حينها...»

ابتسمت نينا ابتسامة مرة وهي تتذكر وجه والدتها المرح، الجذاب وشخصيتها اللامعة، كان هذا يخيفها هي احياناً، فبعقل الطفلة، كانت ترى هذا البريق كشعلة لاهبة لن تلبث ان تحرق نفسها، وقد حدث ذلك في النهاية وبطريقة مأساوية.

«إلى ان اعجب بها.»

قطبت نينا حاجبيها وسألت: «من؟»

تمتم والدها بعدم ارتياح: «حطم حياتنا وحطم حياته في النهاية، لم استطع تركه لينجو بفعلته لم استطع تركه، الكبرياء.»

حينها فقط ادركت نينا انه لم يعد يشعر بوجودها، بل ان افكاره رحلت الى عالم عاشه في الماضي، وفجأة سكن تماماً وانتفض قلبها بذعر فيما تدفقت الدماء في عروقها.

«تبّاً لآل هانتر.» تمتم ونهضت نينا من مكانها فجأة متجهة نحو لوحة والدتها المعلقة فوق المدفأة، لقد ادركت وبخوف شديد ما كان يردد والدها.

«اراد آل هانتر الخبثاء سرقة نساء عائلتي مني! إلى اين أنت ذاهبة؟» سألها فجأة.

عادت إليه مبتسمة بانفعال شديد وقالت: «ليس إلى أي مكان.»

قال والدها متنهداً: «ابنتي الحبيبة. ابنتي الحبيبة، لا يمكنه لمسك الآن، لقد تأكدت من ذلك.» ابتسم بوهن ثم استغرق في نوم عميق كعادته.

حدقت نينا بلوحة والدتها من حيث هي وقد زال عن اللوحة كل قناع ووهم كان عليها لسنوات. كان جيسون يقول الحقيقة في رسالته الأخيرة تلك.

كانت والدتها متورطة في علاقة غرامية مع والده.

تدحرجت الدموع من عينيها ولم تعد قادرة على البقاء داخل الغرفة، فاندفعت خارجة لتصطدم بصوفيا التي لم ترها بسبب دموعها.

«نينا.» سألتها صوفيا وهي تمسك بها: «هل والدك بخير؟»

لم تستطع نينا حتى ان تجيب بالنفي، بل اكتفت بالابتعاد عن صوفيا، مسرعة نحو غرفتها ومن ثم إلى الحمام للتقيوء.

«خذي هذا.» قالت صوفيا وهي تناولها منديلاً وكوب ماء.

تناولتهما بيد مرتعشة وهي تشعر بنظرة صوفيا الفضولية لها.

تمتمت نينا: «سأكون بخير.» بعد لحظات فيما عينيها تتحاشان عيني صوفيا. «احيانا يكون من الصعب تحمل هذا ومراقبته وهو يذوي أمامي هكذا.»

«أجل.» ردت صوفيا وسألتها فجأة: «هل تحببين ابني؟»

كان السؤال غير متوقعاً، فاتسعت عينا نينا بذهول للحظة، ثم ابتسمت للسؤال فيبدو ان الجميع اليوم يريد معرفة حقيقة مشاعرها نحو طوني.

«اجل.» ردت بصراحة وصدق. «أجل احبه.»

«هذا يعني شيئاً دون شك.» تمتمت صوفيا وهي تغادر الغرفة.

مسكين والدي، عادت نينا لأفكارها الآن. لقد تعرض للخداع على يد زوجته وافضل صديق له وشريك عمله، لكم تأذى والدها وتسببوا بإيلامه! لا عجب انه كان يرفض مجرد التحدث عن ذلك.

لا عجب انه اراد قطع كل صلة لها بجيسون، تابعت تفكر بألم. فجيسون هو الرجل الذي تسبب له بالنوبة القلبية الأولى.

«عليك إبعاد يديك الجشعتين عن شركتي وعن ابنتي.» صاح والدها صباح ذلك اليوم الذي اصيب فيه والدها بالنوبة القلبية الأولى: «فلا الشركة ولا ابنتي هما لأمثالك.»

غشت الدموع الحارة عينيها، لقد ظنت حينها ان طوني هو المقصود بكلامه هذا، لكنه كان جيسون!

كل كلمة حب، كل ايماءة حنان كان يظهرها جيسون لها، كان جزءاً مدروساً من خطته لإجبار والدها على دفع دين والده. هو لم يهتم لها اطلاقاً، بل لما يستطيع سلبه من لوفل لتحقيق انتقامه.

«انه يريد كل شيء.» عادت كلمات والدها لترن في اذنيها: «يريد كل شيء، يريدك يريد الشركة، كرامتي وكل شيء.»

ارتجفت بشدة لادراكها انها لجأت للشخص غير المقصود في تلك الليلة التي لا تنسى!

كان طوني بريئاً من كل تهمة اتهمته بها.

عادت للتقيؤ ثانية واعتصر قلبها لإدراكها ان طوني مثل جيسون، اراد الاستيلاء على لوفل وكان مستعداً للقيام بأي شيء لأجل ذلك. هل كان الفرق كبيراً بينهما؟ انها لا تعتقد ذلك، فهي قد تم استغلالها، اشتراها الأول وباعها الثاني، وكل هذا لأجل كبرياء رجل عجوز ولرغبته في إبقاء ذكرى زوجته ناصعة في عيني ابنته.

• • •

«اخبرتني والدتي انك كنت مريضة طيلة النهار.»

نظرت نينا بانزعاج إلى الوجهين الداكنين المقطبين واللذين ينظران اليها عبر طاولة العشاء ثم اشاحت بوجهها، هي لا ترغب بالتكلم أو حتى بالادعاء ان كل شيء على ما يرام فيما وجهها ينطق بوضوح ان لا شيء على مايرام، لقد احتاجت لكل شجاعتها كي تنضم اليهما على العشاء هذه الليلة، والاسوأ من ذلك، انه عليها العودة إلى غرفة والدها لاحقاً وكأن شيئاً لم يحدث.

أصر طوني قائلاً: «ان كنت تشعرين بتوعك. إذن عليك مراجعة الطبيب، لعل هناك...»

«انا بخير.» قاطعته متمنية لو يصمت ويتجاهلها كما يفعل كل مساء تاركاً إياها مع افكارها المشوشة.

«نينا...» قال ويده تغطي يدها على الطاولة. «هذا ليس...»

«قلت لك انني بخير.» ردت بحدة وهي تنهض واصابعها ترتجف وباردة في يده. حدقت بهما بوجه شاحب وهما يحدقان بها، متسائلة كم يعرفان حقاً من كل هذا.

لم يخبرها وجه طوني شيئاً تماماً، كما كان حاله منذ اسابيع. شعرت بموجة اكتئاب شديدة، فنظرت بعيداً ثم نهضت مبتعدة عنهما قبل ان تنهار امامهم.

لحق بها وهي لم تزل في البهو، أمسك بذراعها وجرها إلى مكتب والدها مغلقا الباب خلفهما.

«والآن، لربما ستفسرين الآن سبب انفجارات غضبك الأخيرة.»

لم تجب، فلا جواب لديها لذا اكتفت بالوقوف مكانها مرتجفة.

حدق بها طوني للحظة بغضب، ثم تنهد بعمق «نينا...» توسل برقة دون ان يقترب منها وكأنه يشعر بمدى تدهور اعصابها ولم يشأ ان تنهار امامه: «ما الخطب؟ الا يسعك اخباري؟»

بدا كأنه يريدها ان تفعل، كانت تشعر برغبة جامحة لفعل ذلك واطلاعه على كل القصة. لكن سبق لها وارتكبت هذه الغلطة السخيفة وإلى اين ادت بها غلطتها؟ للزواج من رجل لن يشعر نحوها ابداً كما تشعر هي نحوه.

سألها باصرار: «هل يفوق الوضع قدرتك على التحمل؟ هل سيكون من الاسهل عليك ان اوظف ممرضة أخرى كي تساعدك...»

قاطعته: «لا أرغب بتسهيل الأمور عليّ، اريد ان اترك وشأني.»

امتدت فترة صمت أخرى بينهما قطعها بسؤاله: «هل قال والدك شيئاً ما أزعجك؟ قالت والدتي انك خرجت باكية من غرفته وكأن احدهم قد قال شيئاً أزعجك بشدة.»

استدارت حينها وقالت: «انه يموت كما تعلم.»

وافقها بهدوء: «أجل. اعرف.»

تحرك حبها العميق له داخلها والتمع في عينيها، لقد بدا قلقاً عليها.

لكن تلك الحرارة لم تعد موجودة في عينيه، اشاحت بوجهها وقد ادركت ان ما كانت تخشاه قد حصل دون شك، لقد تبخرت رغبته بها فجأة تماماً كما بدأت فجأة، ولم يتبق لها ما يربطها به.

لربما باستثناء الطفل، وتحرك الأمل الواهي في أعماقها محاولاً بث الحياة ثانية في عروقها. هل سيربط طفلهما بينهما؟ هل سيحبها طوني عند ذلك؟ هل سيتمكن طوني من ان يحبها؟ أم ان الطفل سيربطه بامرأة أجبر على الزواج منها بسبب يأس رجل عجوز يحتضر؟

رفعت نظرها واجبرت نفسها على النظر اليه، يجب ان تعرف ان كان يكن لها أي عاطفة.

«قطعت لي وعداً مرة.» قالت بصوت مخنوق. «قلت ان ارتباطنا ببعضنا سينتهي يوم وفاة والدي.»

«آه.» جاء دوره الآن ليخفض بصره وابتسامة غريبة تظهر على فمه. «والآن انت تطالبين بتنفيذ الوعد.»

«احتاج لأعرف ان كان الاتفاق لازال سارياً.»

«كي تتمكني من وضع الخطط؟» قال فيما عاد ينظر إليها: «حتى تتمكني ربما من العودة لعاشق الموسيقى جيسون؟»

«لا.» صاحت وهي ترتعش لمجرد التفكير بذلك. «لا اريد ان يقع بصري عليه ثانية. هو...»

«جيد.» قاطعها قبل ان تشرح له سبب تحول عواطفها عن جيسون هانتر. «لأنه الرجل الوحيد الذي لن أسمح لك أبداً بتركي لأجله.»

«لكنك ستسمح بتركي لأجل أي رجل آخر؟» سألته بإصرار.

«هذا يعتمد...» قال وتوقف عمداً كي يحدق بعمق في عينيها المضطربتين ثم تابع: «سواء اكنت حاملاً أم لا.»

الفصل العاشر

ارتجفت نينا وتمتمت: «ماذا... ماذا تقصد؟»

«لم أزعج نفسي بأخذ أي احتياطات بخصوص هذه المسألة. فهل فعلت أنت؟»

اومأت برأسها نافية وعيناها تبحثان في وجهه عن ردة فعل ما. لا يعقل انه يعرف، قالت في نفسها، لا يعقل...

سألها: «لم لا؟ بسبب والدك؟» اقترح بسخرية. «أكانت تلك تضحيتك الأخيرة لأجله يا نينا؟ تحقيق أمنيته بالحصول على حفيد قبل مماته؟»

«لا.» اومأت برأسها ثانية ناكرة ذلك كلياً. فكرت بأخذ هذه الاحتياطات لكنها لم تفعل، لكن ليس لأن والدها يريد ذلك. بل وكأنها لا شعورياً كانت تعرف انها تحبه وأرادت الاحتفاظ بجزء منه عند وقوع المحتوم حين يمل منها ويفترقان.

«لكن من المحتمل أن تكوني حاملاً.» أصر وعيناه تتقلصان وهو يحدق بها: «متى تشاطرنا الفراش آخر مرة؟ آه أجل... أتتذكر...»

«قبل اسبوعين وثلاثة أيام بالضبط.» تمتم وهو يقترب منها. «كان ذلك في الصباح الباكر فيما كانت الشمس الحارة تشرق على الفيلا وأنت قررت أن تغيظيني.»

أغمضت نينا عينيها عن الصورة التي كان يعيد رسمها أمامها. فقد استيقظت فجر ذاك اليوم وأيقظته رغماً عنه كي يرافقها إلى الخارج لمراقبة شروق الشمس.

«كيف لي أن أنسى تلك المخلوقة في ذاك الصباح؟»

قالت بأنفاس متقطعة: «توقف.»

هذه ستكون بداية جيدة له لو كان هذا صحيحاً، أليس كذلك؟ آخذاً الحياة تحت شمس اليونان الدافئة.»

«لا.» هتفت كارهة اياه لأنه يسمعها هذه الكلمات: «هذا... غير ممكن.»

«غير ممكن؟» سألها برقة. «لكن بالطبع أي شيء كان ممكناً يا جميلتي ذاك الصباح.»

«ليس ذاك الصباح.» أنكرت وهي تحس بحرقة في معدتها. «ذاك ليس التوقيت الصحيح.» فهي تعرف تماماً متى بدأ الطفل بالتكون داخلها. حدث ذلك في ليلة زفافهما الأولى بالضبط. كانت متأكدة من ذلك ورفعت عينيها إليه كي تخبره بذلك لكن القسوة الباردة في عينيه خنقت الكلمات في حلقها.

«هذا شيء مريح.» هز برأسه مراقباً بتجهم تحول وجهها إلى وجه كوجه الأموات وتابع: «لا أريد أن يكون طفلي من امرأة تخطط للخروج من حياتي بعد شهرين فقط من دخولها إليها.»

بعد سقوطها في الفخ الذي نصبته بنفسها، لم تستطع نينا إلا التسمر مكانها وقد تحطم شيء ما بأعماقها وهي تراه يبتعد عنها بنفور وكأن مجرد لمسها يشعره بالاشمئزاز، فمات أي أمل بداخلها. يستحيل على هذا الرجل أن يحبها يوماً فلو كان بداخله ذرة حب واحدة نحوها، لما استطاع التفوه بالكلمات القاتلة التي سمعتها.

«أما فيما يتعلق بأي قرار بخصوص مستقبلك.» تابع

بقسوة وهو يتجه نحو الباب. «فهلا أجلنا ذلك إلى ما بعد وفاة والدك؟»

مزقتها كلماته كالسكين وهو يتابع: «فهذا سيكون تصرفاً محترماً أكثر، ألا تظنين ذلك؟»

لم يضطر للانتظار طويلاً، فقد تعرض جوناس مساء اليوم التالي لنوبة قلبية أخرى. حدث ذلك دون سابق إنذار، وصل الطبيب مارتن على الفور بعد ان استدعته الممرضة بعدما رأت جوناس على تلك الحال. كان مستلقياً دون حراك وكأنه غير مدرك لأي شيء أو لوجود أي شخص قربه.

وقفت نينا قرب السرير في حالة ترقب وخوف شديدين.

نادى جوناس بوهن: «نينا.»

«أجل يا والدي.» هتفت وهي تهرع إليه فيما نظرة الطبيب تخبرها بما سيكون. «أنا هنا.» تابعت وهي تمسك بيديها اليد الباردة.

همس: «سيعتني طوني بك يا حبيبتي. أنت وشركة لوفل ستكونان بأمان بين يديه.»

«لا تتكلم هكذا.» عنفته برقة وحب. «هذه مجرد نوبة بسيطة وستعود بعد أيام قليلة لإغاظتي مجدداً.» لاحت ابتسامة شاحبة على وجهه وترقرقت الدموع في عينيها وهي تتابع: «أحبك يا والدي.» رفعت يده ووضعتها على وجنتها.

لامست أصابعه المتعبة وجهها للحظة وهمس: «انك كوالدتك تماماً.»

غسلت الدموع وجهها وصاحت: «لا.» وقد أدركت ان هذه هي النهاية، لكنها لم تكن قادرة على تصديق ذلك.

«والدي؟» نادته آملة ان يفتح عينيه: «والدي اصغ إلي لديَّ ما أخبرك به.» لا شيء ولا حتى رمش له جفن.

«سأنجب طفلاً يا والدي.» صاحت بذعر وهي تمسك بيده: «سأنجب طفلاً! سأنجب حفيدك! لذا الأفضل لك أن تتحسن، لا؟ يجب أن...»

«نينا...» قال الطبيب محاولا ابعادها: «انتهى الأمر يا عزيزتي. انتهى الأمر، أنا آسف.»

همست بتعاسة: «حتى انه لم يسمعني.»

«بل سمعك.» أكد لها الطبيب مارتن وهو يرى بحزن دموعها التي أخذت تنهمر بغزارة على وجهها الشاحب. «أنا واثق انه سمعك.»

«نينا؟»

جعلها ذاك الصوت العميق الحبيب تستدير بحثاً عن صاحبه. كان طوني داخل الغرفة ووجهه شاحباً متجهماً. رأته عبر نظراتها المشوشة ينظر بتساؤل نحو الطبيب ثم يتلقى الرد المحتوم، وتعثرت قليلاً ثم سقطت بين ذراعي طوني القويتين.

كانت تلك الليلة الأولى منذ حوالي شهر التي نامت فيها في غرفة واحدة مع زوجها. فيما المنزل يستعد لمراسم الجنازة والدفن، بقي طوني في غرفتها يخفف من ألمها وحزنها إلى أن أنهكها الارهاق أخيراً واستسلمت للنوم.

لم تستيقظ مجدداً إلا في منتصف الليل لتجد نفسها مع طوني.

سألها برقة: «هل أنت بخير؟» رفعت عينيها الناعستين

إليه. أدركت في الحال بأنه لم ينم، وذلك بسبب الشحوب في وجهه وحول عينيه.

«أجل.» همست ثم اخفضت نظرها: «كيف عرفت؟»

«اتصلت والدتي بي. آسف لعدم تمكني من المجيء قبل ذلك...»

«كان يعتقد اننا نحب بعضنا هل تعلم ذلك؟ مات معتقداً انك البطل المغوار الذي أتى لإنقاذ شركته وابنته في ساعات حياته الأخيرة.»

سأل متنهداً: «لكنك تعتقدين غير ذلك كما أظن.»

قالت بصراحة: «أعرف الحقيقة.»

«وما هي الحقيقة؟»

انه قد تم شرائي، فكرت. ابتعدت عنه وشعور الخسارة الكبرى يجعل البرد يسري في عروقها مجدداً. لعل طوني ساعد بإنقاذ شركة والدها من السقوط بين يدي جيسون الجشعة وهي ستكون ممتنة له للأبد على هذا، لكنها باعت نفسها له كي تحظى بمساعدته. لم تجد العزاء في أي من هذا.

ترقرقت الدموع في عينيها مجدداً وعضت على شفتها بقوة كي تمنع نفسها من البكاء وشعور الخسارة والضياع يغمرانها ويزيدانها ألماً خاصة بعد رحيل والدها.

أحاطها بذراعيه مجدداً واحتمت به كهرة صغيرة تسعى إلى الدفء.

همس: «نينا...»

قالت متوسلة: «لا تتكلم. أرجوك، لا تتكلم.»

دفن جوناس لوفل بعد أسبوع. وقفت صوفيا إلى يمينها

وقد لانت طريقة معاملتها لنينا قليلاً بسبب حزنها العميق. كما وقف طوني إلى يسارها وذراعه حول خصرها.

بالكاد تركها وحدها خلال الأسبوع المنصرم بمزاج هادىء لكن غامض ومتجهم. كان ينام في غرفة الضيوف الثانية، ولا حتى صوفيا، تساءلت حول عدم نومه في غرفة زوجته، وكالجميع غيرها، لاحظت مدى انهيار صحة ونفسية نينا بعد عناء الاهتمام بوالدها، بعد رحيله.

لم يعرف أحد باستثناء نينا مدى تحرقها لوجوده قربها، ذلك كلما تستيقظ ليلاً وشعور الوحدة والرهبة يتملكها.

فات الأوان الآن. فقد رحل والدها مطمئناً بزواجها من الرجل الذي تحب.

ظل صوت داخلها يخبرها ان طفلهما منحها حقاً عليها التمسك به. لا بد انها ارتجفت فقد اشتدت ذراع طوني حولها وتمتم: «لنذهب.»

أدارها برقة بعيداً عن القبر، وشعرت بيد صوفيا تربت على كتفها للحظات فقط قبل أن تسحبها ثانية.

اتكون شفقة؟ تساءلت نينا وأرادت أن تشهق بالبكاء.

أعادتهم سيارة الليموزين إلى المنزل متقدمة بضع سيارات أخرى لاصدقاء والدها، انهم زملاؤه في العمل، واشخاص آخرين. لقد جعلها هؤلاء تشعر ببعض الراحة لأنهم كانوا يهتمون كفاية لجوناس لوفل، فقطعوا أعمالهم وأشغالهم وجاءوا لحضور جنازته.

قالت ذلك للرجل الجالس قربها.

أجاب طوني: «كان والدك رجلاً محبوباً ومحترماً.

بالطبع هم يهتمون كفاية لحضور جنازته. وتأكدي انهم سيفتقدونه بحزن.»

قطعا بقية الرحلة بصمت، لكن لحظة وصولهم إلى المنزل وبعد ان ألقت صوفيا نظرة على وجه نينا الشاحب، أرسلتها فوراً إلى السرير وقد ارتاحت نينا لذلك فهكذا لن تكون مضطرة للتظاهر بالثبات والقوة أمام كل هذه الجموع، فانسحبت تاركة طوني ووالدته للاهتمام بالباقين.

وجدها في غرفتها بعد ساعات، كانت قد وضعت معطفها الأسود وقبعتها على السرير، فيما جلست على الكرسي تحدق عبر النافذة إلى الخارج.

«لم توضبي أغراضك بعد.» علق بعد دخوله الغرفة واغلاق الباب خلفه.

أدارت رأسها إليه وقلبت ما قاله في عقلها لعدة مرات قبل أن تدرك ما كان يقصده، انه يتوقع منها العودة معه إلى منزله اليوم.

قالت: «لن أذهب.»

سأل وقد ازدادت حدة نظراته: «اعتقدت انك ستقولين ذلك. وهل لي بالسؤال عن السبب؟»

أعلنت بصراحة: «قرأت وصية والدي.»

«آه.» علق وكان جملتها تفسر كل شيء.

«كان لديه نسخة عنها في درج الخزانة قرب سريره. وجدتها وأنا أرتب أغراضه الشخصية، لقد ترك لك كل شيء.»

«أجل.» رد متنهداً وهو يجلس على طرف السرير.

«كوصي. لحين بلوغ ابننا الأول سن الرشد. لكني أتمنى أن تصدقيني حين أقول انني لم أعرف أبداً انه كان سيفعل ذلك.»

«لا يهم.» قالت وهي تهز كتفيها بعدم اكتراث. فهي في الواقع تعرف لماذا فعل والدها ذلك. اعتقد انه كان يحميها من جيسون هانتر آخر قد يستغل سذاجتها ويضحك عليها.

«كان هو يدين بالشركة لك أصلاً.» قالت بينما تابعت في نفسها، لكم كان يعتقدني والدي بلهاء عندما كتب هذه الوصية وفي اعتقاده انه يحميني.

قال بحنق: «بالطبع هذا يهم، فأنا لم أرد أياً من هذا.»

«أردت شركة لوفل.»

«أردتك أنت يا نينا، وأرفض منك نسيان ذلك.»

أرادها... تذكرت أول مرة قال ذلك لها، حدث ذلك في هذه الغرفة بالذات بدا لنينا وكأنه منذ دهر. نظرت اليه، كتفاه متهالكتان بعض الشيء وكأن توتر الأسبوع المنصرم قد أثر به هو ايضاً.

نظر إليها فجأة ورآها تنظر إليه وللمرة الأولى لم تبعد عينيها، كان هذا يوم من أيام شهر ايلول (سبتمبر) البارد. لم تكن ترى وجهه بوضوح فالشمس في الخارج مختفية خلف الغمام الرمادي جاعلة الغرفة معتمة قليلاً، كان الجو داخل الغرفة متجهماً تماماً.

«حان الوقت لأن تعودي إلى المنزل يا نينا.» قال بهدوء رافضاً تقبل تمنعها السابق.

«لا.» ان المنزل بنظرها، جزيرة تغمرها الشمس وبعيدة مئات الأميال من هنا، فذاك هو المكان الوحيد الذي ذاقت

ه طعم السعادة. نهضت من مكانها وأصرت: «أحتاج
بقاء بعض الوقت بمفردي.»

«وماذا يعني ذلك؟»

قالت: «أحتاج وقتاً للتفكير، للتخطيط لما سأفعله
حياتي الآن.»

«ستعودين للمنزل برفقتي.» أعلن بكبرياء وقد بدا
ونانياً صرفاً. «حيث ستقومين بمسؤولياتك كونك زوجتي
جدداً.»

«تقصد في سريرك كما أظن.»

قال: «أجل في سريري.» أمسك بها وأدارها كي تواجهه.
مهما يكن ذاك هو مكانك. أن تكوني معي حيثما أكون لا ان
تعيشي وحدك.»

«لكن والدي مات.»

«أجل.» قال وأصابعه تشتد حول ذراعيها. «وأنا أحترم
حزنك لكن من الآن فصاعداً ستحزنين في منزلي! لن أتحمل
هذا الانفصال السخيف لأكثر من هذا! ما كان يجدر بي
السماح بهذا منذ البداية. لكن آن الآوان لوضع حد لكل ذلك.
وأنت يا نينا لاكتوس ستأتين إلى المنزل معي، اليوم.»

«لكنك وعدت بحلي من أي ارتباط بك فور موت والدي.»

أخبرني فقط انك تحبني يا طوني توسلته في نفسها بحرقة،
سأرافقك إلى آخر الدنيا. «سبق وتحدثنا عن هذا قبل عدة
ليال وقد وعدت...»

قاطعها بحدة: «بمناقشة هذه المسألة، وسوف نناقشها
في المنزل، في منزلنا.»

اصراره الغاضب وحده كان يحثها على الانصياع لما

يريده، أرادته أن يحمل عنها عبء كل هذه المتاعب وأن
يتركها تختبىء خلف إرادته القوية، لكن هذا لن يكون
عدلاً، ليس بعد الآن ليس بعد وفاة والدها وانتهاء
صفقتهما. كانت تحمل طفله وهي تحتاج الآن إلى حبه
بيأس شديد.

«أرجوك...» توسلته مجدداً دون أن تدري كم كانت تبدو
جميلة وبريئة حتى في حزنها هذا: «حاول أن تفهم! لا
أستطيع العودة للقيام بالأشياء التي قمت بها سابقاً.»

سألها بتحدي: «وما هي تلك الأشياء؟ رجل وامرأة بدءا
للتو بالتعرف على بعضهما! وتريدين التخلي عن كل ذلك.
لكن لأي سبب؟» بدا محتاراً وعيناه الغاضبتان تخترقانها.

«لأن هذا كان جزءاً من اتفاقنا.»

قال باحتقار: «مجرد حجة سخيفة. اخترعتها لإسكات
ضميرك المعذب بالذنب لأنك أردتني وقد كرهت نفسك
لذلك.»

«هذا غير صحيح.» كذبت وهي تعرف ان ما يقوله هو
الحقيقة كاملة.

«حقاً؟» سأل بحدة: «دعينا نختبر تلك النظرية إذن.» وقبل
أن تعرف ما الذي يعنيه سحبها إليه بغضب وقبلها.

«الحقيقية.» قال مبتعداً عنها بشكل مفاجىء جعلها
تترنح أمامه: «ما الذي تعرفينه أنت عن الحقيقة ما دمت
تملكين هذه القدرة الهائلة على فك قطع الحقيقة وربطها
ثانية بما يناسب أهدافك الخاصة؟» ابتعد عنها متجهاً إلى
الباب. ليقول بمرارة: «ابق هنا إن شئت، لكن هذه هي المرة
الأخيرة التي أغادر بها هذا المنزل دونك تعرفين أين

تجديني بحال غيرت رأيك. فقط صلِّ ألا أغير رأيي حتى ذلك الحين.»

غادر صافقاً الباب خلفه بعنف تاركاً إياها تتساءل عما كانت تأمله، فيما انفطر قلبها واشتدّ ألمها منه. ارتمت على السرير تشهق والدموع الحارة السخية تنهمر بشكل لم يسبق لها أن بكته من قبل. بكت على نفسها، على والدها، على الطفل الذي تحمله في أحشائها وبكت حتى على الرجل الذي غادر للتو حياتها بغضب.

جعلها الطرق الحاد المفاجىء على باب الغرفة تنتفض جالسة على السرير وقلبها يقفز بين ضلوعها.

هذا ليس طوني، قالت في نفسها بهستيرية وهي تبتعد عن السرير، قال انه لن يعود وهو لن يفعل.

لم يكن الطارق طوني.

بالكاد تمكنت نينا من مسح دموعها عن وجهها حين فتح الباب لتدخل منه صوفيا لاكتوس.

«نينا؟» صاحت والقلق لا الغضب يرتسم على محياها: «لماذا اندفع ابني من هنا للتو بعاصفة غضب جامحة؟»

استدارت نينا عائدة إلى النافذة وقالت: «لم لا تطرحين هذا السؤال عليه يا صوفيا؟ فأنت قلقة على مشاعره هو.»

لم تشعر بمثل هذا الضياع وهذه التعاسة في كل حياتها، ولا بد ان هذا انعكس في صوتها لأنها وجدت ولدهشتها الشديدة ان صوفيا، لم تتفوّه بكلمات لاذعة، بل تنهدت بعمق واقتربت منها ووضعت ذراعها حول كتفي الشابة اليافعة.

«أجل، أجل.» رددت بخيبة أمل مأساوية: «أليس لديك ما يكفيك من الأحزان حالياً لتواجهينها يا نينا دون اضافة

المزيد بابتعاد ابني عنك؟» ارتجفت نينا بشدة وتنهدت صوفيا متابعة: «ظننتك أكدت لي انك تحبينه. لماذا إذن عليّ مراقبة طريقتك البطيئة بتحطيم قلبه؟»

قلبه؟ فكرت نينا بمرارة. أي قلب؟ وماذا عن قلبي أنا؟ عادت الدموع مجدداً تتجمع في عينيها الزرقاوتين، ثم استدارت لمواجهة حماتها.

قالت لها: «لا يملك طوني قلباً يا صوفيا، بل صخرة قاسية مكانه.»

«آه؟» علقت صوفيا وتابعت برقة دون ان تتأثر بهذه الاهانة: «هل أزعجت نفسك ولو مرة واحدة بإثبات هذا لنفسك؟»

تمتمت بيأس: «أعرف ما أعرف.»

«أظنك تعنين ان شركة والدك هي السبب الوحيد الذي دفع بابني لمعارضة كل أمنيات والدته بزواجه منك؟»

«أتحدث عن الرغبة يا صوفيا.» ردت نينا غير عابئة بالعواقب بعد الآن: «كان ذلك سبيله الوحيد لوضعي في سريره ولهذا فقط تزوج مني.»

شعرت بصوفيا تجفل قليلاً قبل أن تقول: «إذن ما دمت وافقت على الزواج منه وأنت تعرفين ذلك فلما لا تستخدمين الأمر لصالحك بدل ارساله بعيداً كما فعلت؟»

«أنا... أنت لن تفهمي ذلك.» قالت متنهدة فيما الشمس تغرب فتزيد من عتمة الغرفة.

«لعلك توقعت أكثر مما قدمه لك طوني؟»

«لا.» ردت نينا وشبه ابتسامة يرتسم على وجهها الشاحب: «لم أتوقع أبداً أكثر مما قدمه لي.»

استنتجت صوفيا: «لكن لأنك تحبينه توقعت أن يحبك هو بدوره تلقائياً.»

تنهدت نينا شاعرة بالفراغ، وسارت لتجلس على الكرسي مجدداً. هي لم تتوقع أبداً ولا للحظة أن يبادلها الحب، صحيح انها تمنت نلك، أملت بنلك، لكنها لم تتوقع حدوثه أبداً.

ظلت صوفيا حيث هي تدرسها بنظراتها لبعض الوقت فيما الغرفة تغرق أكثر فأكثر بالظلام ثم أضاءت مصابيح الغرفة ليخفف من جو التجهم والتعاسة المسيطر عليها.

«أتعرفين يا نينا.» قالت وهي تتنقل لإشعال كل المصابيح: «لا يأتي الحب بصورة مفاجئة كما يريدنا الرومانسيون ان نعتقد. فالحب يحتاج إلى الوقت والعناية كي ينمو ويترعرع. انه يعني العمل بجد لمعرفة الآخر، لنعلم ما يحبه وما يكرهه، لجعله راضياً ومقتنعاً بوجوده معك لدرجة انه لن يفكر ابداً بالبحث عن العزاء في مكان آخر. أنا أعرف ذلك تماماً.» ثم جلست على السرير ممسكة بيدي نينا الباردتين.

«لم يكن زواجي، زواج حب كما تتصوري.» اعترفت صوفيا وهي تبتسم بوهن مما جعل عينا نينا تتركز عليها: «يقوم اليونان بالأمور بشكل يختلف عنكم انتم معشر الانكليز، كنت في السادسة عشر فقط حين عرّفني والدي للمرة الأولى على من سيصبح زوجي المستقبلي، وكرهت هذا الأخير لحظة وقوع نظري عليه.» تنهدت متابعة: «كان يكبرني بخمسة عشر سنة ومعقداً جداً لدرجة جعلتني اعتقده

عجوزاً ومتجهماً وقد أخبرته بذلك أيضاً.» ضحكت للذكرى وتابعت: «إذن عليك تعليمي كيف لا أكون متجهماً أليس كذلك يا صوفيا؟ قال لي ذلك واضعاً أمامي بلطف تحدياً كنت أكثر من مستعدة لمواجهته. جعلني أقع بحبه أولاً يا نينا ثم جعلني أعمل بجهد أكبر كي أظفر بحبه.»

«وهل فعلت؟» سألت بصوت ابح وقد ارتعش بصيص الأمل داخلها قبل أن تتابع: «هل جعلته يحبك؟»

لان وجه المرأة الأكبر سناً وبدا جميلاً وهي تتحدث عن زوجها المتوفي: «يختلف الرجل اليوناني عن كل رجال الأرض قاطبة. لا تتوقعي يا نينا من ابني أكثر مما أنت مستعدة لإعطائه إياه، وإلا فهو سيخيب أملك دوماً. اخفي مشاعرك خلف قناع كبريائك واهربي منها إن شئت. لكن إن فعلت فلا تعيشي بعد ذلك على أمل انه سيأتي يوماً إليك ويضع قلبه بين يديك لأنه لن يفعل أبداً. تقولين ان ابني تزوجك بدافع الرغبة فقط، إذن هل يكفي ذلك لبدء قتالك للحصول على حبه؟ أم لربما حبك له ليس قوياً كفاية ليساندك في هذه المعركة؟»

نظرت نينا إلى اصابعها تحت كف صوفيا وسألت بصوت مخنوق: «لماذا تزعجين نفسك بكل هذا؟ ظننتك ستفرحين لابتعادي عنه.»

ارتفع حاجبا صوفيا باستغراب: «أنت تحملين حفيدي في أحشائك، أليس كذلك؟» ارتفعت العينان الزرقاوان لتشتبكان مع السوداوان بذهول مفاجىء فابتسمت صوفيا برضى وقد منحها تورد خدود نينا الرد الذي تتوقعه: «ذاك فوق كل شيء آخر يحوز على احترامي.»

«لكن ليس احترام ابنك.» قالت نينا ودموعها تنهمر بغزارة على وجهها ثانية: «هو لم يتزوجني كي أحمل بأبنائه يا صوفيا. أخبرني ذلك بنفسه.»

بدت صوفيا مصدومة، ثم أعلنت وهي تنهض: «هذا هراء، إن قال ابني شيئاً بهذا الهول لك، فاصرفي وقتك إذن بالتساؤل عما قلته أو فعلته به كي تدفعيه للتفوه بمثل هذا الكلام بدل النحيب على الألم الذي سببه لك بكلامه.»

«أنت لا تفهمين...» قالت نينا متنهدة.

«أفهم ما يكفي لأعرف انك إن لم تفعلي شيئاً ايجابياً لتحسين علاقتك مع طوني، فستصل الأمور سريعاً بينكما إلى حائط مسدود. فكري بهذا يا عزيزتي. هناك الكثير من النساء الأخريات في الخارج يا نينا. نساء أكثر من مستعدات لمساعدته على نسيانك. هل هذا ما تريدينه؟»

تريد؟ تساءلت نينا بتعاسة بعد ان تركتها صوفيا وحدها، كيف لها أن تعرف ما الذي تريده في خضم الفوضى العارمة والارتباك التام الذي تشعر به الآن؟

قاتلي، هذا ما نصحتها به صوفيا، لكنها لا تعرف إن كان لديها القوة الكافية للقيام بهكذا معركة، وهل ترغب هي حقاً بنذر نفسها لرجل لا يربطه بها سوى الرغبة؟ لن تمر أشهر كثيرة حتى ينتفخ الجسد وتتغير معالمه فهل سيظل راغباً بمجرد النظر إليها حينها؟

هناك مسألة أخرى، انها تحب هذا الطفل الذي في داخلها. تحبه بجنون ومستعدة للموت لأجله، لكن بحال قررت انها غير قادرة على العيش مع طوني دون أن يبادلها الحب فهل سيحاول الأخير حرمانها من الطفل؟ إن كان

صبياً فهو سيكون وريث طوني، ولن تسمح طبيعته اليونانية طبعاً لابنه بالعيش بعيداً عنه. بإمكانها بالطبع الاختفاء من حياته. الانتقال للعيش في مكان آخر، لكن أين؟ انفطر قلبها لمجرد التفكير بذلك، فهي تعرف أين تريد أن تكون. مع حب أو بدون حب، سواء أرادت أم لم ترد، انها تعرف تماماً أين تتلهف لأن تكون.

الفصل الحادي عشر

كان شهر ايلول (سبتمبر) يودع آخر ايامه بأمسيات ضبابية باردة معتمة تفرش صقيعها على مصابيح الشوارع وارضياتها المبللة بماء المطر الخفيف المتساقط بين الحين والآخر.

وقفت نينا امام البوابة الحديدية التي تؤدي إلى المنزل الأبيض الكبير. على عكس المرة السابقة، لم تكن من سيارات في مدخل المنزل ولا الأضواء كانت مشتعلة عبر كل نوافذه فقد بدا الآن المنزل هادئاً مظلماً باستثناء ضوء واحد ينبعث من إحدى نوافذه.

شدت ياقة معطفها حول عنقها اتقاء للهواء البارد، ارتجفت قليلاً وهي تعبر البوابة إلى الممر الطويل حتى مدخل المنزل متسائلة ان كان ما تقوم به هو الصواب أم لا. لكن تماماً كما انطلقت برحلتها إلى هنا في المرة السابقة، الآن أيضاً عليها مقابلة الرجل بالداخل.

«هل حبك له قوي كفاية ليساندك في المعركة؟» كان ذلك سؤال التحدي الذي سألتها إياه صوفيا.

حسناً ها هي قد أتت إلى هنا لتكتشف ذلك. كان قلبها ينتفض بقوة وهي تضغط على الجرس، كانت خائفة، خائفة من استقباله لها، هذا إذا استقبلها أصلاً.

«تعرفين مكاني بحال غيرت رأيك.» قال وهي تتمنى الآن انه كان يعني ما قاله.

فتح الباب وظهر جون كالفر لكنه ابدى الذهول لمرآها. مرحباً يا جون قالت وهي تدخل البهو.

«سيدة لاكتوس.» قال جون بعد استعادته لرباطة جأشه واغلق الباب ثم وقف امامها كأنه يمنعها من التقدم اكثر.

«هل زوجي في المنزل؟» سألته وهي تنظر اليه بفضول متسائلة عن سر سلوكه الغريب هذا. لربما لم ينتظر طوني ليلة واحدة قبل ان ينطلق بحثاً عن العزاء الذي نكرته والدته، ربما...

«أجل، طبعاً.» رد جون ونظر نحو باب غرفة المكتب المغلق قبل ان يعود وينظر اليها ثانية: «ان انتظرت هنا لحظة واحدة فسوف...»

«لا.» اوقفته باشارة من يدها حين حاول الابتعاد، ابتسمت له قليلاً متابعة: «ان لم تمانع يا جون افضل الاعلان بنفسي عن وصولي.» فهي لم ترغب بإنذار طوني المسبق بوصولها. ارادت ان ترى بنفسها ردة فعله لرؤيتها هنا. فقد يخبرها ذلك بكل ما تحتاج لمعرفته. ازدردت ريقها بصعوبة واتجهت نحو المكتب وسألت جون: «هل هو في مكتبه؟»

-«اجل، لكن...» بدا غير واثقاً مما عليه فعله ثم هز كتفيه وتناول معطفها دون مجادلتها اكثر.

قالت: «شكراً لك.» واصلحت من شأنها قبل ان تسير نحو المكتب، فيما نظرة جون المتوترة تلاحقها لكن اضطرابها الشديد منعها من التساؤل حول ذلك.

وقفت قليلاً خارج الباب واخذت نفساً عميقاً في محاولة منها لتهدئة نفسها قبل ان تفتح الباب وتدخل الغرفة بهدوء،

جالت نظراتها في المكان للحظة قبل ان تستقرا على الرجل الواقف امام مكتب تملؤه الأوراق.

توقف قلبها عن الخفقان للحظة، وكأن يدا جليدية تعتصره. هو لم يكن بمفرده، كانت لويزا معه وذراعاها تحيطان بعنقه بنفس الطريقة التي سبق لنينا ورأتها في تلك الليلة الأولى، كان طوني يبتسم لها ابتسامة تعرفها نينا جيداً.

كانا منسجمان معاً، لدرجة انهما لم ينتبها لدخول احدهم الغرفة.

«لا اصدق ان هذا يحدث أخيراً.» كانت لويزا تقول بحماس.

ابتسم لها طوني قائلاً: «حان الوقت ليعطيك احدهم درساً لن تنسيه أيتها المحتالة.» شعرت نينا بالم موجع، وتأوهت قليلاً، فرفع طوني نظره بتلك اللحظة والتقت نظراتهما من فوق رأس لويزا، بدا غير مصدق للحظة قبل ان يبعد لويزا عنه شاعراً بالذنب.

«نينا!» قال بذهول، واستدارت لويزا، لتنظر اليها بدهشة وبشرتها السمراء متوردة بشدة، استدارت نينا وكادت ان تتعثر من جراء تلهفها للخروج من الغرفة قبل ان يشهدا الدمار الكامل لنفسيتها المتألمة، لكن قبل ان تتمكن من ذلك امسكت يد قوية بمعصمها.

«لا تكوني حمقاء يا نينا.» قال طوني: «هذا ليس ما تعتقدينه...»

«انت كل شيء مريع سبق لي واعتقدتك به يا طوني لاكتوس.» صاحت محاولة افلات معصمها منه.

شتم وهو يحاول تهدأتها فيما هي تصارع للإفلات من قبضته.

«توقفي.»

«اتركني.» صاحت والذعر يشل أي احساس آخر داخلها. كانت تتحرك بيأس لافلات معصمها وهذه المرة ارتكب طوني خطأ افلاتها لانها كانت امامه كالنمرة الشرسة، ولم تدر ما الذي تفعله الا بعد ان صفعته بقوة على وجهه!

اهتز من جراء قوة الصفعة وظهر الإجرام داخل عينيه للحظة قبل ان يسيطر على رغبته الجامحة برد الصفعة لها، ثم سيطر الصمت بينهما، صمت تقطعه شهقاتها وهي تحاول تنفس الهواء وادخاله إلى رئتيها، فيما ترى آثار اصابعها على وجنته.

«أرى انك ظهرت ثانية من أجل ايذائي ايتها اللئيمة!» قال بغضب مكتوم لم تشهده منه من قبل أبداً.

«انت تستحق ذلك.» ردت بحدة واخذت الدموع تهدد بالانهمار مجدداً وقلبها ينتفض بعنف هائل: «انت تستحق كل ما حصلت عليه.» ردت واستدارت تريد الابتعاد عنه، الهروب من هنا قبل ان...

امسك بمعصمها مجدداً بقوة وصورة مفاجئة جعلت شعرها يتطاير في الهواء قبل ان يستقر مجدداً مكانه، مجبراً اياها على النظر في عينيه البركانيتين.

«جون.» نادى بغضب شديد. رافق الآنسة ماندراكي إلى سيارتها، ثم غادر انت ايضاً هذا المكان بأكمله.»

«حاضر يا سيدي.»

حينها فقط ادركت نينا وجود الآخرين في الغرفة، الأمر الذي جعلها ترتعش، ترتعش من الصدمة من الرعب الحقيقي لمعرفتها ان طوني لن يتركها تفلت من إهانتها له بهذه الطريقة امام الجميع.

«طوني أنا...»

ارتعشت نينا مجدداً لسماعها ذاك الصوت الناعم الصادر من لويزا.

«اخرجي من هنا يا لويزا.» خاطبها طوني بقسوة: «احبك كثيراً، لكن غادري الغرفة حالاً، لا أريد ان يشهد احداً ارتكابي جريمة قتل.»

مرت فترة من الصمت قبل ان يدرك الجميع التهديد الأخير، ثم غادر جون ساحبا لويزا المتشنجة إلى الخارج تاركاً نينا وطوني وحدهما ثم اغلق الباب خلفه، سيطر صمت مريع على كافة انحاء المنزل، كانت نينا لاتزال ترتجف واليأس الذي كان يسحقها يجعل انفاسها لاهثة ومتقطعة: «ماذا كانت تفعل هنا؟» سألت حين لم يعد بمقدورها تحمل المزيد من الصمت.

سألها بمرارة: «وأي حق لك برأيك يخولك طرح مثل هذا السؤال؟»

قالت بحدة: «حق الزوجة.»

أجاب بقسوة: «لست زوجة، لم تكوني يوماً كذلك.»

افلت معصمها واستدار مبتعداً عنها إلى طاولة وضع عليها ابريقاً من العصير، وسكب لنفسه كوباً.

«ماذا يعني ذلك؟» سألت هي ترى الخطوط الحمراء التي تركتها اصابعها على خده.

«انت طفلة يا نينا.» قال رامياً اياها بنظرة محتقرة قائلة قبل ان يشيح بصره بعيداً عنها: «مجرد طفلة غبية وعدوانية تسبب المتاعب ولا تستحق العناء.»

قالت بتعاسة: «مادمت تعتقد ذلك. فلماذا تزوجتني إذن؟»

أجاب: «تعرفين لماذا؟ لأنني لم استطع إبعاد يداي عن جسدك.»

«وهذه مشكلة تدبرت علاجها كما رأيت للتو.» ردت وهي تشد على اصابعها بقوة كي تمنعها من الارتجاف.

«لا تصدقي ذلك.» قال رامياً إياها ثانية بنظرة محتقرة: «استطيع جرك إلى الطابق العلوي الآن ورميك على السرير لولا تلك النظرة المثيرة للشفقة والتي كسبتها خلال الاسابيع القليلة الماضية.»

«كان والدي يحتضر.» هتفت ودموع الألم تعود لتتجمع في عينيها.

تنهد بعمق وقال: «اجل، اعرف كان ذلك تعليقاً سخيفاً مني واعتذر عنه.»

احتسى ثانية من كوبه فيما نينا تنظر اليه، كان الغضب لايزال يتأجج بداخله وقد ظهر الشحوب ولأول مرة على بشرته البرونزية الجذابة، فمال قلبها اليه، انه لم يستمتع بامساكه بالجرم المشهود، فقد مس ذلك كبرياؤه، تقديره لذاته.

«آسفة.» تمتمت شاعرة بالذنب، ولسبب مجنون ما اكثر منه: «كان عليّ ترك جون يعلمك بوصولي قبل دخولي فجأة هكذا.»

«حقاً؟» ورماها بنظرة غريبة ثم نظر إلى كوبه: «لماذا أتيت؟»

لماذا أتت؟ لاحت ابتسامة واهية على وجهها، ما دفعها للمجيء إلى هنا الليلة تبخر وما عاد له اية قيمة بعد الذي رأته وشهدته.»

حان الوقت للاختباء مجدداً، ولتحاول على الأقل مغادرة المكان ببعض من كرامتها، استجمعت كل قوتها للسيطرة على رفضها الداخلي لما كانت ستقوله ورفعت رأسها اليه بتعال قائلة بهدوء: «جئت اخبرك ان كل شيء انتهى بيننا.»

ضرب كلامها وترا ما لديه فقد تشنج للحظات ثم تمتم بسخرية: «كان عليّ توقع ذلك لكن وبغرابة لم أفعل.»

«قررت العودة للجامعة.» اخبرته وهي ترغب بإيذائه بنفس الطريقة التي آذاها بها، لكنها ادركت هباء محاولتها، فقد كانت صادقة حين اخبرت والدته سابقاً ان لا قلب له.

«آه، كل تلك الدراسات الموسيقية الغالية.» قال محتسياً المزيد من كوبه: «وجيسون الغالي أيضاً كما اظن.» اضاف بمرارة.

لم تستطع ترك هذه الملاحظة تمر دون تعليق فقالت: «اعرف كل شيء عن جيسون واعرف كل شيء عن والدتي.»

استدار فجأة ليواجهها وسأل بحدة: «كيف؟»

«يبدو ان جيسون لم يعتقد المبلغ الذي دفعته له كافياً لشراء صمته.» سخرت ببرود ثم رمته بنظرة متهمة متابعة:

«امتصّ دم والدي بشدة لدرجة انه التجأ حتى إلى اصدقائه كي يبقى محافظاً على ما لديه أليس كذلك؟»

لم يجب لكن قسماته اخبرتها انها نطقت بالحقيقة. «وكل هذا ليحافظ على سمعة والدتي النظيفة امامي.»

تنهدت وسحبت نفساً عميقاً قبل ان تتابع: «لم يكن الأمر يستحق كل هذا، كان يجدر به ان يعرف انني كنت افضل ان اراه آمناً وسعيداً حتى ولو كان ذلك ليحطم ذكرى والدتي امامه، على ان نصل إلى ما وصلنا اليه الآن.»

«وما الذي وصلت اليه الآن؟»

«ليس بالشيء الكثير.» قالت مشيحة بنظرها عنه: «زواج فارغ يرتكز على محاولات يائسة لرجل يحتضر لإنقاذ شيئاً من حياته التي كان قد اغرقها في فوضى عارمة.»

ثم رفعت عينيها اليه وتابعت بمرارة: «لهذا قررت العودة إلى الجامعة ارفض ان استغل من الآخرين، جعلتني أريدك يا طوني... ولا أريد ان اشعر بذلك ثانية.»

«اتظنين انني اريد ذلك؟» سألها وهو يضع الكوب جانباً.

«اظنني المسؤولة عن هذا أيضاً.» قالت متنهدة: «بمجيئي إلى هنا تلك الليلة متوسلة مساعدتك بغباء.»

«لا. اخطأت بقولك هذا، فالأمر بدأ قبل تلك الليلة التي لجأت بها إليّ.»

شعرت بهجوم صاعق وشيك، فقالت: «عمّ تتكلم؟»

هز كتفيه بتكاسل قائلاً: «عرفت كل شيء عن ابتزاز هانتر لوالدك، عن محاولاته لإدخالك في مخططاته وعن رغبته بالاستيلاء على شركة لوفل. عرفت كل ما يجري قبل

مجيئك إليّ تلك الليلة باستثناء موضوع خاتم الخطوبة.»
واضاف مبتسماً: «كانت تلك مفاجأة حتى لي.»
«انا...» لم تعرف ما بامكانها قوله: «لماذا؟ لماذا اطلعك والدي على كل ذلك فيما كان مستعداً لخسارة كل شيء لإبقاء هذا سراً؟»
«لأنه عرف مبتغاي.» قال ببساطة وعيناه تحدقان بها: «مما جعلني الشخص الوحيد الذي بإمكانه الوثوق به والذي كان مستعداً لنشله من الفوضى التي كان غارقاً فيها.»
«انا.» همست وقد شحب لونها بشدة.
أومأ برأسه بالايجاب: «لم اتظاهر بالعكس أبداً. ليلة اتيتني تطلبين المساعدة، كان والدك قد سبق وطلبها. كان عليّ إبعاد هانتر بدفع مبلغ كبير له وبالمقابل كنت سأتولى السيطرة الكاملة على شركة لوفل، وعليك ايضاً، شرعياً بالطبع، فوالدك لم يكن سينقذ ابنته من أيد رجل جشع ليرميها بين أيد رجل آخر لا يعرفه جيداً.»
شعرت وكأنه قد صفعها، وقالت بحرقة: «اكرهك لذلك.» ثم استدارت لتتفادى رؤية ابتسامته القاسية.
«وما الجديد بهذا؟» سأل وهو يملأ الكوب من جديد. «لطالما كرهتني ورددت ذلك على مسامعي لكن...» تابع ببرودة وهو يراها تخطو نحو البهو: «حاولي مغادرة هذا المكان الآن يا نينا واقسم لك انك ستندمين على ذلك.»
«لماذا؟» صرخت واستدارت لتواجهه متابعة: «لماذا تحتاجني هنا ما دام لديك لويزا، أم ان امرأة واحدة لا تكفي امثالك؟»

غضبها المحتقر دفعه للتقدم نحوها بحنق. ظلت نينا مكانها وهي تحدق به بتحدي.
«يوماً ما سيوقعك لسانك السليط هذا بورطة حقيقية.» قال وهو يتوقف على بعد نصف خطوة منها.
«إذن دعني اغادر هذا المكان ولن تضطر للاستماع إلى لساني السليط ثانية.»
«لا تحلمي بذلك.» رفض وهو يمسك ذقنها بيده ويتابع: «فلدينا عملاً غير منجز انت وانا. العمل البالغ الأهمية بانجاب ابن يبقي شركة والدك بين يدي.»
لا شعورياً وضعت نينا يديها على بطنها وهمست: «لا... لا يعقل انك تعني هذا.»
«اتظنين ذلك؟» سألها بعينين قاسيتين: «كنت اقاتل للاستيلاء على شركة لوفل منذ فترة طويلة ولن اتخلى عنها الآن لمجرد رغبتك بتبديل مخططاتنا.»
«لكن كل ذلك مات بموت والدي. وماذا عن اتفاقنا؟»
ذكرها قائلاً: «الذي بعت بموجبه نفسك لي جسداً وروحاً.»
«ذاك مات بدوره.» همست وهي تشعر بخوف حقيقي منه الآن: «لن تكون ابداً والداً لطفلي.» اقسمت وهي تدرك انها لن تخبر هذا الرجل القاسي ابداً عن الطفل. «لن اسمح لك بمجرد الاقتراب مني لمحاولة ذلك.»
قال برقة: «فات الأوان يا عزيزتي، لأن كلانا يعرف انك حامل بطفلي.» اغمضت عينيها بذعر.
اصرّ بنبرة قاتلة: «اترين يا عزيزتي كانت غرائزك نحوي صحيحة منذ البداية، اشتريتك كعبدة تباع وتشترى، ولحين

حصولي على كل ما اريد وارغب منك بما في ذلك الطفل الذي تربينه بحب بداخلك، ان تبقي معي.»

«لا.» صاحت بألم فيما هو يحدق بها وعيناه الداكنتان ووجهه الصارم يخبرها عن مدى احتقاره لها.

«وانا التي اعتقدت.» همست بيأس قاتل وهي تبتعد عنه: «انني احبك.»

ظلت تحدق به للحظة مراقبة هروب اللون من وجهه نتيجة اعترافها المؤلم ذاك واندفعت خارج الغرفة إلى البهو ومن ثم الى الباب الرئيسي وتمسكت بالمقبض الحديدي كي تمنع نفسها من السقوط.

«نينا.» سمعته يناديها لكنها كانت قد غادرت منزله واخذت تركض دون وعي في حديقته. امسك بها وهي تكاد تغادر البوابة الحديدية ويديه على كتفيها يجبرانها على التوقف ثم ابعدها عن البوابة.

سأل بصوت مخنوق:

«ما الذي قلته للتو؟»

يبدو انها نجحت اخيراً في مسعاها، لقد كان الذهول لازال مرتسماً على قسمات وجهه.

صاحت: «اتركني. تريد اخذ كل شيء مني، كل شيء.» وبانتفاضة غاضبة حررت نفسها من قبضته متابعة: «والآن تريد اخذ طفلي مني.»

ظهر الألم الشديد على وجهه وقال: «صدقيني يا نينا، انا لم أعنى أية كلمة مما قلته بالداخل.»

هتفت مدافعة عن طفلها: «لا انت ولا كل اتفاقاتك مع والدي ستسلبني إياه.»

«انا لن آخذ طفلك منك يا نينا.» قال وهو يرى ارتجافها الشديد: «كنت غاضباً في الداخل.»

تنهد بعمق متابعاً: «كنت تتحدثين عن تركي نهائياً، فقلت ما قلته تباً!» انفجر متابعاً وهي متسمرة مكانها تحدق به بعينين دهشتين: «عرفت بشأن الطفل منذ اليوم الذي اخبرتني به والدتي عن تقيؤك. حتى انني حاولت دفعك لإخباري عنه بنفسك لكنك لم تفعلي، أليس كذلك؟» حان دوره الآن ليبدو تعيساً وليرميها بنظرات الاحتقار: «ظللت تنكرين وجود طفلنا عني وتتساءلين كيف استطيع ان اؤذيك هكذا؟»

هزت رأسها رافضة تحمل مسؤولية أي اذى قد تكون سببته له واتهمته: «خططت لهذا مع والدي أيضاً، أليس كذلك؟ خططتما معا مسألة حملي. كان هذا مجرد جزء آخر من صفقتك معه.»

تحرك طوني بنفاد صبر: «لن افكر لا الآن ولا بعد مليون سنة بتوريط أي طفل في أي اتفاق اتفق عليه، أي نوع من الرجال تعتقدينني كي اقوم بهكذا عمل غير انساني؟»

«انت استغليتني.» قالت بصوت مخنوق: «كنت مجرد طفلة مقارنة بك وبوالدي.»

«والدك احبك يانينا.» قال باعياء: «احبك بشدة لدرجة انه كان مستعداً للقيام بأي شيء كي يحميك من أي أذى، سواء اكان ذلك من ماضي والدتك المشين أو من مخالب هانتر المخادع أو من حدة رغبتي بك! والا لما عقد اتفاقاً معي بالشروط التي ذكرتها لك.»

اخذ نفساً عميقاً قبل ان يتابع: «منحني موافقته

ومباركته لمحاولة جعلك تهتمين لأمري ولإبعاد هانتر عنك، لكن كان ذلك كل شيء، اما الباقي فقد كان منوطاً بي، وقبلت بهذا التحدي بكل طيبة خاطر. نينا...» توسل مادا يده اليها: «الجو شديد البرودة هنا وانت ترتجفين دعينا ندخل كي ننهي هذا، ارجوك بإمكاننا...»

«لا استطيع العيش معك ثانية يا طوني ابداً.» اخبرته دون ان تتحرك من مكانها.

سألها بألم: «لماذا؟ بسبب دراستك الجامعية؟ حسناً سأعيدك ثانية. دراستك الجامعية. نحن جيدان معاً يا نينا انت وانا. انت تعرفين ذلك، لا ترمي بكل ذلك جانباً بسبب سوء تفاهم مجنون.» اقترب منها وتنهد بإحباط حين وجدها تتراجع.

«تقولين انك تحبينني لكنك لا تسمحين لي بمجرد الاقتراب منك.» هتف بحنق. «ما الذي تريدينه مني يا نينا؟»

اريدك ان تحبني همست بحرقة في نفسها وشعرت بأنها تتعثر قليلاً والظلام حولها يتسلل إلى داخلها، عندما رآها على هذه الحال، شتم واقترب منها ثم حملها بين ذراعيه.

«لطالما عرفت ذلك.» همس وقد شل عقلها عن التفكير: «منذ اللحظة الأولى التي وقع نظري فيها عليك، عرفت انني أسيرك وللأبد.»

«لأنك رغبت بي جسدياً فقط.» سمعت نفسها تقول مقاومة تصديق ما كان يقوله، فما يقوله يعني الكثير لها.

تنهد بنفاد صبر وهو يتجه نحو المنزل ثانية وقال: «لو لم تكوني حاملاً بطفلنا لو انك لم تكوني بالغة العنف

والوهن لضربتك حتى يعود عقلك المجنون إلى رجاحته ايتها العمياء الحمقاء! ما هذا يا نينا؟ هل انت الوحيدة في هذا الكون التي لا تعرفين ان طوني لاكتوس ألقى نظرة واحدة على ابنة جوناس لوفل وخر صريع هواها.»

«لكن لويزا...»

«لويزا صديقة قديمة للعائلة.» تابع بنفاد صبر: «اتت إلى هنا هذه الليلة لزف الخبر السار إليّ وهو اقتراب زواجها من صديق مشترك لنا.»

كان قد دخل المنزل الآن فأنزلها على الأرض فيما هي مشدوهة، لكنها لم تبتعد عن ذراعيه الذين كانا حول خصرها الآن.

«لكني شاهدت قبلتك لها.» قالت بغيرة وهي ترفض بعناد تصديق ما تسمعه منه.

سألها: «متى؟ متى رأيتني اقبّل لويزا بالطريقة التي اقبلك بها؟»

«حين كنت مختبئة في منزلك أعلى السلالم تلك الليلة. كانت تحطيك بذراعيها وانت كنت مستمتعاً بذلك.»

تنهد قائلاً: «المتعة الوحيدة التي حصلت عليها من تلك القبلة كانت سرعة تخلصي من لويزا! كنت قد استلمت للتو مكالمة بشأن تعرض والدك لنوبة قلبية وآخر ما كنت أريده الغرق بجدال مع لويزا! كنت شديد القلق عليك كونك وحيدة ومعرضة بسهولة لخداع هانتر.»

بدأ شيء ما يتحرك داخلها وقالت: «كنتما صديقين.»

«قبل ان تقع عيناي عليك؟ لربما كان هناك نساء قبلك يا نينا لكني بالكاد اذكر أي واحدة منهن الآن.»

«انت اجبرتني على الزواج منك. اشتريتني كما قلت كعبدة كيف تقول ذلك ثم تدعي انك تحبني؟»

«آه، لا.» قال دون ان يظهر أي شعور بالذنب: «ان كان احداً منا قد اشترى الآخر فأنت من فعل ذلك يا نينا. لقد بعت نفسي لك عن طيبة خاطر واعترف بذلك مقابل شركة العجوز المريض التي لا تستحق المتاعب التي واجهتها.»

سألته بحيرة وهي تحدق به: «ماذا تقصد؟»

«اعني ان الملكية الوحيدة التي تمتلكها شركة لوفل هي عبارة عن قصر قديم متداعي وسط لندن يحظر استخدامه أو استعماله ما لم تنجز اعمال الترميم كاملة عليه مما يعني صرف الملايين من الدولارات.»

شحب وجه نينا وقالت: «اذن كل ذاك المال الذي قلت ان والدي يدين لك به... ما كان ليتمكن من تسديدك إياه حتى ولو لم يمرض؟»

هز طوني رأسه: «هذا صحيح.»

«كم... كم كلفناك بالاجمال؟»

اخبرها فارتجفت بين ذراعيه وهمست: «يا له من مبلغ ضخم دون شك... كل تلك الأشهر التي كنت اعتقد خلالها انه تم شرائي... فيما في الواقع...» رمته بنظرة فضولية قبل ان تتابع: «كنت انت حصتي من المساومة، لا؟»

بدأت العينان الزرقاوان تضحكان له، كما بدأ شبه ابتسامة مغيظة يظهر على فمها، بينما راقب هو بتعجب غاضب تحول المرأة الجميلة بين ذراعيه إلى تلك الشقية التي سبق له ان عرفها في جزيرته.

ترك خصرها متراجعاً خطوة كي يحدق بها وتمتم

بجفاف: «لن تتركيني أنسى أبداً ذاك الاعتراف أليس كذلك؟»

«لا.» قالت وهي تنظر اليه من رأسه حتى أخمص قدميه وكأنه كان معروضاً للبيع ثانية: «هل لازلت راغباً باسترجاعي؟»

«تعالي إلى هنا.» وبحركة قوية شدها اليه وقبلها ثم قال: «بالطبع لازلت اريدك، لا انكر لحظة واحدة مرت علي دون ان اريدك بها.»

«فقط لأجل رغبتك؟» سألت بدلال وقد غمرتها سعادة فريدة رائعة.

قال بمرح: «لأجل أي فتات ترمينها في طريقي. وكما اعترفت قبل لحظات حتى آخر لحظات حياتي ساكون زوجك ورهن أمرك لتفعلي بي ما تشائين، سأكون راضياً لو جعلتني أجلس عند اقدامك فقط.»

«كاذب.» همست بدلال: «لا تستطيع إبعاد يديك عني وانت تعرف ذلك.» وفيما هز رأسه بتقدير رآها تبتعد عنه. «إلى اين تذهبين؟» سألها باستغراب.

«سأصعد إلى الطابق العلوي. فالمكان هنا بارد وأنا... أرغب بالدفء.» وبلحظة كان يحملها بين ذراعيه واحاطت هي عنقه.

«يوماً ما، سأنتصر بمعركة ما معك وسأرى حينها ماذا ستفعلين.»

همست في اذنه: «احبك يا طوني.»

توقف بتأثر للحظة وقال: «هل لديك ادنى فكرة عما يفعله قولك هذا بي؟»

قلدت نبرته ورددت: «وهل لديك أدنى فكرة عما يفعله بي عدم قولك هذا؟»

تنهد وهو يتابع سيره قائلاً: «لم يكن من سبيل لبداية صحيحة، لا؟ بزواج يرتكز على هذا الكم الهائل من الأكاذيب والخداع.»

«لا.» وافقته وهي تنظر اليه وحبها له يتدفق كالشلال الهادر من عينيها وقالت: «لكني احبك بعمق رغم كل هذا.»

قال بحب وحنان: «إذن فلتكن هذه بداية جديدة لنا.»

«بداية جديدة.» رددت مبتسمة وذراعيها تشتدان حول عنقه ونبض قلبها ينطق بسعادتها. «احب وقع هذا على سمعي، بداية دون نهاية.»

«صدقي هذا، لانني لن اتركك ابداً، ابداً.»

تمت